



مجلد ٢ - العدد ١٠ شِيعاء الحِكْمَةِ يَجْزِينا إِلَيْكَ يونية سنة ١٩٢٨

مبادئ الفلسفة الحديثة

سلسلة أبحاث في قالب سهل المأخذ تعتمد فيها على عدد من
أساتذة الفلسفة المعروفين ، يستفيع بها المبتدئ في درس
الفلسفة ، كما يستعين بها الباحثون على تفهم المبادئ الأولية
بأسلوب حديث .

الفلسفة والحياة

— ١ —

« الفلسفة » إحدى الدعائم الأولية التي تقوم عليها المعرفة الانسانية .
وعلى الرغم من هذا ، وعن قدم عهدها وشبورها مع تطور الفكر ، قد عانت من
المهوشات وأثر الفوضى ، ما لم يعان فرع غيرها من فروع المعرفة . فكثيراً
ما أخطأ الناس معرفة أغراضها وتجديد موضوعاتها . وقد تجدد أن الفلسفة اذا
سلمت حيناً من الجهل المطبق بها ، فإنها لم تسلم في كثير من الاحيان من الفوضى
في تحديد أساليبها التي تتبعها في بحث حقائق الاشياء . فاعتقد البعض أنها
ليست أكثر من تخيلات لا تستند الى شيء من الحقائق . أما المعتقد السائد في
« التفلسف » فقائم على فكرة أن هذا الاسلوب ليس أكثر من أحلام
وتخيلات وتخييط مع الاوهام . أما العلماء Scientists فقائلون بأن الفلسفة عبارة
عن تأملات جافة غير منتجة تدور حول مسائل ، ان لم تكن ثانوية من ناحية الاهمية

والخطر ، فأنها من الأشياء التي لا يمكن أن يعتبر العقل الانساني على حل لها ، ولذا يجب أن تترك وتهمل في حين الانسداد المستمعية التي يجب أن لا تعالج الا من الناحية الباطنية في كفايات العقل الانساني .

على ان هذه النظرة الخاطئة في الفلسفة لها من المقدمات ما يجعلها نتيجة محولة على تلك المقدمات . وليس من شأننا في هذا التمهيد أن نمضي في سرد تاريخ تلك المقدمات وما حمل عليها من النتائج . بل يكفي أن نقول هنا أن مثل هذه الاتجاهات العقلية أراء الفلاسفة ليست أكثر من أخطاء وسوء فهم لما هي الفلسفة ، وأنها ظلمت الفلسفة ، وهي بعد تلك النزعة العقلية التي كانت في الماضي وسوف تكون في المستقبل ، مادام الانسان مجداً في توسيع أفقه العقلي ، ذات منزلة خاصة تشغلها في نظمات العقل الانساني . وما غرضنا من هذه الأبحاث الا أن نقضي على مثل هذه الأفكار الخاطئة التي تظهر من ناحيتها في الفلسفة ، ولنظهر أنها أكبر عون للعالم على الوصول الى أغراضه العليا . لهذا نبدأ بالبحث في العلاقة بين الفلسفة والحياة .

١ - غرض الفلسفة

الحياة الانسانية حقيقة واقعة ، بصرف النظر عن اختلاف الناس في تقدير قيمتها . أما الحياة الفردية فهبة ، ليس للفرد فيها من اختيار . ولها فوق ذلك التزامات وواجبات ليس للفرد عن الخضوع لها من مفر . ومهما كان من أمر نشأتها ، أو منقلبها ونهايتها ، فإنها حقيقة يشعر بها الاحياء ، ويجب على كل حي أن ينتفع بها على وجه ما من الوجوه . وفضلاً عن هذا ، فإننا نعيش في محيط طبيعي يفرض علينا واجبات ضرورية . فإن قواصر الحياة التي لا يمكننا بحال أن نفلت منها تضعنا في موضع نواجه فيه فواعل بيئة تضطرنا الى الاتيان بأفعال لها طابع خاص وصورة بعينها . فأنك من أجل أن تعيش ، مفروض عليك أن تأتي بأفعال مخصوصة عند حلول ظروف معينة .

للنشاط الذي ندعوه « الحياة » أوجه عديدة . ومن تلك الأوجه وجه ذو شأن وخطر هو أن الحي يشعر بأنه « كائن » أي أنه يدرك أنه « موجود » أو بلغة

الفلسفة « ذاتى الادراك بوجوده » . وهذا أمر يصدق على النوع الانسانى على الاقل . اننا « لنعيش » لا غير ، بل ندرك اننا نعيش ، وقد نفكر فى بعض الأحيان فى الكيفية التى تجعلنا أسعد حالاً مما نحن . اننا لانأتى بأفعال فقط ، بل فىنا قدرة على التمييز بين الافعال والاعتقاد بأن أفعالاً ما تكون ضرورية ، وأخرى ذات نفع ، وثالثة فيها صواب أو خطأ . وبعبارة أخرى نقول إن الحياة الانسانية حياة « تأملية » فى ناحية من نواحيها العديدة . ولا يجب أن ننسى مع هذا أن هذه الناحية « التأملية » من الحياة البشرية هي فى ذات الوقت مبعث الضجر والتبرم ، كما أنها منشأ العظمة والجلال الانسانى ، وانما يكون « التأمل » مبعثاً على التبرم بالحياة لأن فيه جهوداً ، وكثيراً ما يكون غير مثمر . فى حين أنه منشأ العظمة والجلال ، لأن من طريقه استطاع الانسان أن يتم أعماله العظيمة ويقيم قواعد الثقافة ويشيد الحضارات التى تشكل تاريخه المجيد . وسواء اعتبرناه عقبة يجب أن يتخلص الانسان منها ، أم أخذناه على أنه قوة يتحتم علينا استخدامها ، فالتأمل من الصفات الاصلية فى الحياة الانسانية .

ما هو « التأمل » ؟ التأمل فى اظهر مظاهره هو القدرة على أن تسأل وتحجب وأن تستعرض مشكلات وتحاول حلها ، وان تنظر الى المستقبل وتخطط للسلوك خطة ما . هو ان يكون فيك قدرة على استطلاع الحقائق التى ينطوى عليها وجودك ويحتوى عليها المحيط الذى تعيش فيه . هو - « ان تنظر فى الماضى وتستطلع المستقبل ، وأن تستشوق بحرارة الى معرفة المجهولات » .

وللتأمل مظهران لها أكبر العلاقة والشأن بموضوعنا هذا ، ولذا وجب علينا أن نعينهما . فالمظهر الاول هو أن يبحث التأمل عن أجوبة للأسئلة التى يقيمها . انه لا يفتن بالأجوبة التى يناقض بعضها بعضاً . أو التى تتنافى أجزاؤها المكونة لها ، منافاة تؤثر فى اقتناع العقل بها . أما المظهر الثانى فهو أن التأمل يعمل دائماً وبقدر المستطاع ضرورة ، أن يناقش الاجوبة التى يجاب بها على مسأله ليعرف مقدار ما تتجانس عناصرها ومقدار ما تتنافر ، وبالأحرى مقدار ما بينها من العلاقة والترابط . أن التأمل لا يقنع بان يترك الحلول المختلفة التى تحل بها مشاكه

التي يخلقها مفسكة لارابطة تربطها ولا صلة تجمعها ، بل يتابع البحث والتنقيب ليعرف ماذا يكون من أمر هذه الحلول الكثيرة اذا اعتبرت في مجموعها منطقياً . وعلى الجملة نقول بأن « التأمل » يتطلب منا ، باعتبار أنه مثلاً أعلى ، أجوبة ثابتة لكل الاسئلة التي يمكن أن تقوم في العقل ، كما يتطلب ترابطاً منطقياً يصل بين كل الاجوبة التي يتسنى لنا الوصول اليها . بل نقول تعميماً بأنه يرمى الى معرفة الكون من طريق نظرة شاملة فيها ألفة تامة ، بحيث لا ينقص تلك النظرة شيء من كمال الاسلوب ولا حسن النظام ، الذي يقصده بتتابع النسق التدليلى وترابط وجوهه وعدم تنافر أجزائه بحال من الاحوال

وانتد أثبت الفلاسفة في العصور الحديثة اثباتاً قاطعاً ، ان الفلسفة كالمعلوم ، انما تنشأ من تلك القدرة البشرية التي ندعوها « التأمل » وما الفلسفة في حقيقتها الا ذلك الاسلوب أو النظام الذي يرمى الى تحقيق ذلك الغرض المثالى الذي يرمى اليه التأمل . وفي هذا وحده تنحصر الصعاب التي نعانيها من صفة التأمل الكائنة من تضاعيفنا . غير اننا نقول وبكثير من الحق أيضاً انه ليس لنا من سبيل الى معرفة حقيقة التأمل إلا بأن نواجه هذه الصعاب وأن نعمل على حل المشكلات التي يخلقها التأمل من كثرة الاكباب على النظر في حالات العالم . فان الفلسفة ليست بتلك الحالة السلمية التي تخيل البعض أنها عبارة عن رؤى يحلم بها الفلاسفة ولا تتناول من العالم الا ترهاته وسفاسفه . بل على الضد من ذلك . إن قوة التأمل في حالة نشاطها ، تمنح بكل وسيلة في العمل لكي تصل الى أغراضها العليا . ان الفلسفة انما ترمى لان تخالق تصوراً عاماً في حقيقة المسائل والمشكلات التي تقوم في البيئة التي تكثف الانسان وتحف بمركزه في الوجود . والحقيقة أن الفلسفة كما قال الاستاذ وليم جيمس ، العالم البسيكولوجى المعروف ، عبارة عن جهود غير عادى يبذل في سبيل أن يحصل الانسان على القدرة على أن يفكر تفكيراً قوياً .

لهذا نجد أن الفلسفة انما تنشأ مباشرة في الحياة نفسها أولاً ، ثم من مطالعها ثانياً . ان كل من يعيش فوق الارض ، على شرط أن يكون للتأمل قسط من

حياته ، هو فيلسوف بالطبع . يقول الاستاذ بيرى Perry في كتابه «مدى الفلسفة»
(١٩٠٥) ص ٢٢

« ليس الانسان بطبعه فيلسوفاً مستقلاً الرأى في فلسفته ، بل هو فيلسوف
معرض تملؤه الحزبية . لقد بدأ الانسان بالفعل أن يكون فيلسوفاً بمقتضى حالاته
الحاضرة . ولا شبهة مطلقاً في أن هنالك فرقاً كبيراً بين فكرة تقوم في عقل
رجل من رجال الاعمال العاديين وأخرى تقوم في رأس رجل يعمل جاداً في سبيل
معرفة الحقيقة لذاتها . غير اننا اذا مثلنا لهذا الفرق بأنه سياحة طويلة ، عرفنا بعد
قليل أنها سياحة تذهب طريق واحد مستقيم لا التواء فيه ولا انحناء . فالفلسفة في
يد الفلاسفة تذهب الى حيث تصبح مصطلحات متخالطة مبهوشة ، شأن كل شأن
يتعمد الفكر الانساني بجهوده القصية . ومن أجل أن تكب على درس الفلسفة
بما يتطلب الاكباب عليها من شجاعة وقوه يقين ، يجب عليك أن توطد النفس
على مواجهة الصعاب ومناجزة المشكلات العديدة التي تواجهك في تبنيها القصى البعيد
المدى . وحسبك أن تعرف أن مشكلة « الفلسفة » عامة هي المصدر الاول الذى
تنشأ عنه مجموعة المشكلات ، كبيرة وصغيرة . وسواء أعددتنا أنفسنا من عمد الفلسفة
المشتغلين بها المكبين عليها ، أم من المنتسبين اليهم هوى ورغبة لا غير ، فحسب
الفلسفة أهمية وخطراً أن تكون ذات صلة متواصلة بالحياة ذاتها »

٢ - الفرد

عندما وحمنا ، نحن ابناء آدم ، لأول مرة الى ذلك الحد الذى شعرنا
فيه بوجودنا وبدأت لدينا القدرة على التأمل في طبيعتنا تظهر آثارها الجلى ،
عرفنا أن حياتنا انما تتكون من مجموع من الرغبات والحاجات تمنحى عاملين
على أن نحصل عليها . فانا نرغب من طعام وسكنى وذلك . ونحتاج الى الاجتماع
بأخواتنا في الانسانية . ونجاهد في سبيل الحصول على درجات اشرف ونجهد
أنفسنا لكي نحصل على عطف أوائك الذين نشهر بميل نحوهم . وفرق هذا لعجب
من أنفسنا ومن العالم الخاف بنا . وعلى الجملة نقول بأن كلا منا هو بمثابة مركز

للنشاط يجاهد في سبيل الرضا بالحصول على رغبات وحاجات ما . وما هذا النشاط وتلك الرغبات والحاجات الا مظاهر لذلك الشيء الذي نسميه « قسر الحياة » . والفرد باعتباره شيئاً « حياً » هو مبدأ « للنشاط » ومن أجل أن تكون حياً يلزم أن تكون عاملاً في سبيل الاستحواز على غايات ما ، وان تسد شهوتك بالوصول الى رغبات مخصوصة ، وأن تحصل على حاجات مخصوصة وفوائد معينة . هذه هي الحياة على ما تظهر في الذوات البشرية . هي عبارة عن « معركة » لنيل « الغايات » .

في هذا التحليل مسألتان ، يجب على الباحث أن لا يففل عنهما في كل بحث يتناول فيه الفلسفة

الاولى — ان الفرد باعتباره عنصراً حياً ، هو عنصر ايجابي Dynamic لا عنصر سلبي Static

الثانية — هي أن كلاً منا باعتباره عنصراً ايجابياً — عاملاً — يجب أن يركز مظاهر سلوكه حول « غايات » ما ، أي حول رغبات وضرورات فيلوزوف

غنى يا طير

أنشودة غنائية

غنى يا طير انى شاعر	يعرف الانشاد شجواً وحنين
غنى يا طير انى عاشق	يرسل الانفاس فى الليل أنين
غنى يا طير انى عابد	مؤمن بالحسن فى الحب أمين
غنى يا طير انى فتن	هزنى الحب كهزات الغصون
اننى عبد الجمال	طاهر طاهر الملاك

* *

غنى يا طير انى مزهر	عزف الحب على النفا
غنى يا طير لحناً مطرباً	يبعث السحر ضياء فى السما
انه الجنات تجرى نعمة	هاهو القلب اليها قد سما
غنى يا طير. غن والهأ	غنى فالهم بالقلب طمى
واسقنى الخمر الحلال	فى كؤوس من غناك

آنا إن مت غريباً ليس لى	دمعة ترنى سوى دمع الشفق
هل يهيج الحزن موتى عندهن	هام قلبى فى هواها وخفق ؟
آه ! انى قرب نهر مترع	بيد أن الروح يطويها الشرق
غنى يا طير شدواً مشجياً	غنى يا طير وامرح فى الافق
غنى دون ملال	وارثنى من بعد ذاك

من لامل الصبر فى

جولة

في ارضه مأجوج

وهو فصل آخر من كتاب عالم زمانه وواحد عصره وأوانه حجة
البيان وفخر الاكوان أستاذي العالم العلامة والبحر الفهامة صاحب
الفضيلة شأبوب الزاجل أثابنا الله تعالى وإياه ونفعنا به . وقد نشرنا له
فصلاً آخر في عدد المصور الماضي

وبينا الزنبور يطوى طبقات السماء طياً شعرت بجسده يتجلد فجأة وأنه أخذ
يهوى من حلق . فعلمت أنه مات ولا حول ولا قوة الا بالله فعتقت الحيلة لعقلي
طريقاً للخلاص من الموت الزؤام فملت الى جناحيه (١) فاقتلعهما وأخذت بسرعة
أحركهما نازلاً الى الارض وأنا ممسك جسده الزنبور بفخذي مؤملاً دفنه بالاحتفال
اللائق بمقامه اذا قدرت لي السلامة

ولما قربت من الوصول الى غايتي شعرت كما لو كنت أهبط على فوهة جبل
من نار وكانت الرياح الملهبة تلمح وجهي لفحاً وألسنة النار المندلعة تاذعني لدعاً
فنطقت بالشهادتين وأغمضت عيني مستلماً للاستشهاد في سبيل العلم فغاب
صوابي أمداً طويلاً ، ولما أفتت وجدت نفسي ممدداً على الارض . فأجلت نظري
من حولي ويا هول ما رأيت . فالارض حمراء كالقلاة المركبة منذ مائة الف سنة
على موقد « برية موسى (٢) » وكان زفير النار ينتشر خلال ما حولى من الفضاء
ورأيت أمامي عقارباً رجل الواحدة منها في حجم أربعة جمال ورأيت المردة
ذوات المناظر الوحشية تفتنقل بسرعة من مكان الى آخر والشر مرتسم على
وجوهها البشعة . عند ذلك فكرت في زنبوري المسكين فوجدت جلده تحتي
وبالبداهة عرفت أنه طق من شدة الحر فصرني ما كان يملأ أحشاءه من المواد

(١) يعني بالجناحين مظلة النجم التي كان يستعملها عباس بن برجاس وهو يقطع

بحر الظلومات طائراً

(٢) حرف الافرنج اسم هذا الاكتشاف العربي الصميم فنطقوه برموس

اللزجة وهذا هو السر في أنني لم أعد أشعر بأنني وأنا جالس وسط ذلك الآتون الملهب ، بل هذا هو السر في أن العقارب كانت تحيىنى كلما مرت بى باحناء رؤوسها وهى تبتمسم . كما أن المردة يرفعون قبعاتهم لى احتراماً (١)

وارتفع صوت احد المردة يصيح « الا اخرجوا ايها الناس لتذوقوا عذاب اليوم » واذا بمخلوقات كالجرذان فى الحجم تخرج من شقوق جبل قاف واجسادها ترتعد فرقا من الرعب وعندئذ اخذت العقارب تهبط بينها لدعا ونزل . المردة فيها ضربا دون شفقة ولا رحمة . ففقدت صوابى وصحت صيحة ارتجت لها الجبال وخمدت النيران فوق الجبال . مطاطىء الرؤوس خائفين : (ففات مخلوقاتهم على رجلي عتي فاذا له اذنان طويلتان تكادان تحجبان جسده فالتفت عن قصته فسردها لى كما هو مبين بعد بالتفصيل وها أنا أنقله لك بالتمام

قال اعلم وفقك الله أننى عبد رب هذا الجبل (٢) كنت افلح له الارض وآكل من طيباتها وأنا هادىء البال ناعم . ولكن خطر ببالى ذات يوم أن اكتشف ما بعد الظلومات هناك حيث تنهى القمة ولما وصات الى النهاية رأيت شعاع من نور (٣) يمتد الى مالا نهاية فرغبت فى سبر غورها وبالفعل تابعتها قليلا بنجاح لا مزيد عليه الى أن زلفت رجلى عفواً فسقطت الى هنا وقد دقت أطرافى لاصطدامى بصخور الجبل البارزة وأنا اتدحرج عليها . ولما أقمت وجدتني أمام ملك هذه البلاد فحكم على بالتعليق من أذنى فى شجرة وهذا هو السبب انهما طويلتان ثم طلبنى الملك بعد ذلك بأيام وقال لى أننى اقترفت جرماً لا ينتظر لى منه بعد اقترافه رحمة الى يوم الدين ومن ذلك اليوم وأنا ألقى صنوف العذاب كما رأيته الآن »

فمت الى آخر وقت له وأنت ما قصتك فأجاب كلنا يامولاي صرعى الرغبة فى البحث . ووافق الكل بهز رؤوسهم قالت الى أحد المردة مسائلاً عن سبب اقدامه على تعذيب مخلوقات الله الرحمن الرحيم فقال ان الملك هدد به بأشرف أنواع

(١) القبة من لباس العرب ولكن لا يعترف به من اصبحوا أكثر غريبه من العرب

(٢) سبق ذكرها فى بلاد الرافق

(٣) جبل قاف

المذاب ان لم يفعل و بالفعل كاد يرش على وجهه ماء مسحوراً لمسخه فرد
فالتفت الى العقارب اسألها فلم تخرج فدعوت الله أن يفنيها ففعل وهو القادر
على كل شيء .

وبعد أن سلحت نفسى بالأحجية والتعاضيد طلبت من القوم ارشادى الى
حيث يقيم الملك فساروا معى وأنا أقرأ عدية يس بصوت عذب رقيق وبعده بيرة
عام و يوم ساروا الى غار منقوش بابه على الطراز العربى القديم فدخلته بقدم ثابت
وهناك رأيت رجلا قبيح الشكل مرسلا لحية وخطايا الشيب وقد لف رأسه
بعمامة كبيرة تكاد أن تكون برجا . ولما أن نظر الى وجهى المنير كالبرق
فى ليلة تمامه خر ساجداً محاولاً أنم قدمى فضننت عليه بالتقاء السلام وقلت
له كيف تفعل هذا يا شيخ السوء وهل تظن الله غافلاً عما تقترفه من الآثام . أين
الشفقة بل أين الرحمة التى سكبتها الخالق جلا وعلا على قلوب عباده ؟ فقال
المصالحين . فادركت أنه طالع . سياتى جزاءه فى جهنم وبئس المصير . فاقسمت لأذيقنه
المذاب الأليم الذى طالما عذب به أولئك النفر المساكين اذا لم ينطق بالحق
ويتكلم الصدق فقال

اعلم أن ذلك المكان هو واد أجرد سحيق قريب من بحيرة طبريا فى ارض
القدس . يخشاه الأهلون ويسمونه وادى جهنم . كما كان يدعو قدماء العبرانيين
(جوهانيم) فأغرائى الشيطان أن امتلأ ارضاً أحكم فيها حسب ميولى وأعوائى
فيكون لى فيها عبيد متعبدون يخضعون لحكى فأشررت به عده وصدقت وسوسته
فأتيت هنا الى منفذ ذلك الجحيم الارضى واتخذت لى أعواناً من اتباع الشيطان
الرجيم فى أشكال عقارب هائلة الجرم وأول ما فعلته اننى اختطفت بضع عماليق
بشاع المنظر مخيفى الخلقه عودتهم على تدخين الحشيش والافيون وشرب البوظه
وبذلك أصبحوا أطوع لى من بنائى ثم أخذت فى اختطاف الناس من هنا وهناك
وبعد أن أمسخهم جرذاناً أعرض عليهم الايمان بى فيرفضون فأقص عليهم قصة
النور والخطيئة التى ارتكبوها بفضولهم عند البحث فى الماهيات ، وأظنك سمعتها ،

ثم أسلمهم للردة والعقارب ياقون الفرع في نفوسهم . ومع اني تمكنت من منعهم
عن التفكير في كيف يمكنهم الخلاص من هذا الشقاء خوفاً من الوقوع في ما
هو أشد منه لم أقدر حتى الآن على إجبارهم لآخذ الشيطان لهم آلهادون رب العالمين
وهذا ما يمرر عيشي ويدفعني الى صب جام غضبي عليهم في كل آن وحين
سألته اذا كان يعتقد أن العقل البشري بسيط لدرجة ان يتصور امكان
البقاء في عذاب مقيم لا موت فيه ولا خلاص منه . فأجاب أجاب قالهبة تدعو
البسطاء الى تصور ما يظنه العقل غير صحيح

سألته وهلا يعتقد أن للعذاب ائمة . بع يصبح مألوفاً . وبذلك يخرج من كونه عذاباً .
في لعذاب أمر نسبي لا يعرفه الناس الا بمقارنته بما هو ضده . فقال أصبحت فيه اما أفسد دلي
تدبيرى وطلب مني الا مان فأمنتته قائلاً ان الامر ليس بيدي . بل هو حق لمن انزل
عليهم جام غضبه فتظاهروا بالانشراح وأظهر الندامة . ورغبة في اظهار ندمه أشار الى
أفعى عظيمة . قائلاً انها هي المطية التي كان ينتقل بها من مصر الى حيث هو كما احتاج
الى زيارة الأهل والاصحاب . وعرضها على هدية قائلاً الهدية على قدر مهيديها . وبينما نحن
بشدن في السير الى حيث ينتظر القوم صرخ رفيتى صرخة قوية وسقط الى الارض
مرعاً فتلفت اليه واذا بيده فرقة (١) انطلق منها سهم هز ارجاء الفضاء وتقدم الى أحد
المردة قائلاً . لولا اننى قتلتك لكان أرداك بآلته السحرية غدرًا فشكرته . ولما وصلت
الى القوم قصصت عليهم قصتي من أولها الى آخرها وسمحت لهم بالذهاب الى حيث
يشاؤون فشكروني كثيراً ودعوني لمقاسمتهم الطعام . فقبات واذا باطباق رصاصية
رصت عليهم البساكيت والفندونات والبقالى مع كثير من النابس وعيش
السرايات (٢) فأكلت هنيئًا وشربت معهم نخب شر وحدتهم الف وت ر (٣)
وفكرت في الاستفادة من الحية فامتطييتها وأمرتها بشق طبقات السماء . وبعد

١ الفرقة آلة جهنمية تحشى بحجارة من سجيل فاذا ما أصابت أحداها الهدى قضت
على الضحية وأسماها الفرنجة ريفرلنرا

٢ — أ كدوا الى أن هذه الاطعمة الفاخرة ليست غير بقايا مائدة سهارية سقطت خطأ
على الارض . وقد أخذ الشيخ بذور منها زرعها في مصر وهذا هو السر في وجود أصناف
البسكويت والفندون والبقلاوة في محل الخاتى ٣ — حرثها الكفار فخطفوها الافوت

مسيرة مائة الف الف عام جاءت وعلى حين فجأة ألهمت رجلى اليمنى ففضبت وعاجلتها بضربة يدي اليسرى على وجهها لاني كنت ممسك زمامها باليمنى فأكلتها حتى الكوع والبوع والكرسوع. فزاد غيظي. وشككتها بدبوس كان معي شكة كادت تبجن معها من الألم. فحركت ذنبها صوب عيني اليمنى قفلتها. وكسرت لي عشرة أسنان وعندئذ كنا نحوم حول منارة جامع أم العواجز. فغافلتها وألقيت بنفسي على المنارة المذكورة وتسلفتها بسرعة. نازلا الى أن وصلت الى حيث أجلس الآن على بابها عارضا نفسي كفضيحة للبحث العلمي والاكتشاف التاريخي ومن الغريب أن الجبهة من الفرنجة المدعين العلم ظنوا الحية وهي تحوم في الفضاء باحثة عنى لتلتهمنى. نجمة ذات ذنب. فيالكفر والاحاد. بل ياالجهل المعيب. وادعوا أن السبب في تحليق هذا المذنب المزعوم تعزيم رجل اسمه هلالى. وحتى في ذلك أبى الله أن يبينهم الى الحق فحرفوا هذا الاسم العربى ونطقوه هالى

وها أنا الآن العالم المكتشف المأورخ أنهى بحثى التاريخى الطريف هذا جالسا على باب بنت الحسين والملايم تتساقط مع العشرات الخردة فى حجرى كالسيول

واذكر أن احدى الغسالات نفعتنى ذات مرة بمائة الف الف دينار. لأننى أفلحت فى فك طلمسم سحر عقده لها خربتها. وأعطانى بائع عرقسوس وزنى دراهم لتجالحى فى سحر عدوله

« كتمه الفقير اليه تعالى شأبوب ابن الزاجل الحنفى القرشى القاهرى السيدة زينبى من حارة الاعور بالانزل المشهور بمنزل فتح البخت فى العشرين والست من رجب المكرم عام ستائة وعشرين وثلاث للهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام. وها أنا بختمى أبصم هذا ختم

هذا ويقول الناشر أن الامتاز الفاضل والعالم المدقق مستمند فى كل وقت لقبول احسان المحبين وانه ينظر البخت ويكتب الأحجية ويسخر الجان أى وقت أناء الليل وأطراف النهار حتى الله عنه ونفعنا بعلمه فى الدارين . امضاء

مدى الحياة

أو

حديث الظلم

نبئني يا ظلمة الليل عن سهروك على الجوى كيف باتوا ؟
 كم أسالوا على شواطيك دمعاً وآلمات من بهم حشرات !!
 كل قول منهم يتم بآه وكثير لدى الهوى الآهات !!
 نلمات للحزن تبعث شجواً في فؤاد الشجي لها أنات

نبئني يا ظلمة الليل عن سهروك على الجوى كيف باتوا ؟

نبئني اذا احتوتني ستور من سواد الاشجان لى حاجبات
 كيف أقضى ليلي؛ وأدفع همي وجراحي ليست لهن أساة ؟
 هي بحر هذى الحياة خضم قد علتني أمواجه الصاخبات
 مايجات تملو، وتهبط طوراً ثم تملو في إثرها مايجات
 وأراني ماين هذى وهذى كغريق تاهو به الحادثات
 استأدرى أى الشواطىء أمدى ؟ فكأن الشيطان بى تأهات
 وكأن الدنيا بحر وصيل يبحر وكأن لم تكن بها يابسات ...

نبئني يا ظلمة الليل عن سهروك على الجوى كيف باتوا ؟

نبئني أين الحياة إذا ما سكن القلب ؟.. نبئ ما الحياة
 نبئني فالفجر يعلو رويداً فوق تلك الربي فتحي الرفات^١
 نبئني .. أراك صرت شتاتاً!! هكذا نحن في الحياة شتات..
 أمصير الجمال والحب والنأ س ما صارت له الاوقات ؟
 فانيات كما فنيت لتعلو دولات من بعدها دولات ؟؟

برغ الفجر، أيها الناس قوموا جددوا العمر والدني^٢ نائمات
 غردوا ، واصدقوا بكل غناء أسرعوا ، قبل أن تدول الحياة ..

لا تساني باصاح عن آمالي أين تنمو ، وهل لها ميقات ؟؟
 قد طواها قبل النمو بقلبي جدول ناضب ، وأرض موات
 من أمل الصبر في

١ — الرفات : يراد بها الناس في نومهم

٢ — الدني : جمع دنيا .

مذكرات (أنا)

بقلم (ي)

— ٧ —

كنت أحد أطفال سبعة لوالدين فلم أكد أبلغ الرابعة من عمري حتى أرسلت إلى المدرسة ليس لأجل أن أتعلم بل ليسترخي الأهل منى كما استراحوا من اثنين قبلى . وهكذا أدخلت مدرسة الراهبات . التى لاتزال فى مكتبها بشارع منشأ بالاسكندرية وهناك قضيت مدة لا أقدر على تحديدها ولو بالتقريب . ولا أذكر من هذه الفترة إلا أمرين . اذ ضربتني الاخت بسير من الجلد ضربا مبرحا . ثم بكائى يوم توزيع المكافآت ، فاضطرت الرئيسة لكي تسكتنى أن تعطينى حصانا صغيراً من الخشب دون أن أستحقته :

وكان بعض أهالى الاسكندرية قد افتتحوا مدرسة فى قسم محرم بك باسم مدرسة العروة الوثقى . فدخلت فيها ولست أذكر تماماً فى أى فصل ألحقت بهاء غير أننى انتقلت صعوداً وهبوطاً أكثر من مرة . وذلك بمناسبة تنسيق الفصول حسب الكفآت . كذلك أذكر مدرسنا عثمان أفندى المتقدم فى السن وكيف كان يتشائم مع ولده الشاب من أجل « القرش التعريفة » كن معلمنا هذا يلبس الجلباب والبالطو . وبينما كان يقرئنا ضائماً : الف . همره . فتحة أ . ألف . همره كسرة إلخ . كان بتأفذة الفصل المطل على الشارع يفتح ونسمع صوت الابن يقول له « انت رايح تجيب القرش يادين والا » فيتعطل الدرس وكثيراً ما كان الاب يضرب الولد « الخسران » بخيزرائته ضرباً مبرحاً ، إما فى الفصل أو فى حوش المدرسة . كذلك أذكر ما كان يعملهُ التلامذة الكبار طلبة السنة الرابعة مع خادمت المنازل الملاصقة وكيف كانوا يرسلون معنا بخطابات شفوية أو كتابية تضطر إلى تسليمها خوفاً من « العلقة » ولا أنبى ذلك اليوم الذى تشاجر فيه ضابط المدرسة مع شخص آخر . فجمع له عصابة من التلامذة ذهبوا كلهم إلى كوم الدكة وهناك تبادلوا مع جماعة أخرى « ضرب الحجر » ولا يزال القارىء

أننا تبعنهم للتفرج ، كلا ، فأننا كنا نلعب دور فرقة الذخائر والمهمات . فكنا نجمع الحجر بكثرة لنغذى به صفوف جيشنا . وفي تلك الليلة رجعت المنزل معصوب الرأس . لأن قنبلة من قنابل العدو أصابت رأسي .

وكان عملنا في المدرسة أقرب إلى التشریفات فكما ورد كبير إلى المدينة كنا نقاد للترحيب به . وذلك بالاصطفاف على جانبي الطريق . وكما كانت والدتي المسكينة تتألم من مصاريف الكساوى لأن مديري المدرسة غفر الله لهم لم يهتموا إلا بالمظهر فكانوا يرهقوننا بين وقت وآخر بطلب بدل كساوى من طرابيش إلى بذلات إلى جزم لنقابل بها سعادة القادم . وكانت حالتنا المالية لا تسمح بالانفاق لأن والدى كان في أقصى الصعید . فتركنا مع والدتنا بين الأهل حتى لا يحملنا مشقة الانتقال إلى جهات لم تكن قاطرات السكة الحديدية قد وصلتها بعد . وبالطبع كان يجرى . مرتبه الضئيل إلى قسمين أصغر يحتفظ به لنفسه . وأكبر يرسله إلينا وكثيراً ما حاولت أمي المسكينة أن تفصل لى البذلات في المنزل من تلك التي كان والدى يستغنى عنها أو من القماش المطلوب لأجل التوفير . ولكن أصحاب الحل والعقد . كانوا دائماً يخيرونها بين اخراجي من المدرسة وبين تسديد المطلوب . وكان الباقي أكثر مما تستحقته الثياب كثيراً وهنا لايسعنى الا ذكر حوادث اصطدام وجه الطالب بمركوب المدرس فجأة . وكان من الأمور العادية . وكان بعض المدرسين يكتفون بالقاء أصابع الطباشير على التلامذة أو في بعض أحوال المساطر لتأنيبهم إلى وجوب الانتباه وكان هذا في الاوقات التي يكون فيها المركوب جديداً فقط وكانت « الفلقة » من وسائل التربية ، وكذلك كانوا يزجرون كبار الطلبة بطريقة ظريفة هي إيقافهم في مكان ثم اصدار أمر للطابور أن يبصقوا في وجه المذنب الأثيم . وويل للذى يحترم الخلقة الشريفة فلا يلقى ريقه الطهور دون حساب في وجه الشاب المعاقب . وويل له أيضا إذا فعل . فإنه يجازى من المعلم إذا ترفق ويأكل علقه من التليذ إذا أسرف .

ولمادنى مركز والدى من الجهات العاصرة اصطحبنا معه فدخلت لأول مرة مدارس الحكومة النظامية ولكن مساكنهم هم موظفو الحكومة ، مدينتهم كالعرب

لرحل لا يستقرون في مكان ولذلك تضيع على أولادهم فرصاً كثيرة فلا تعجب
لأن أيها القارئ إذا علمت بأنني لم أحز الشهادة الابتدائية إلا بعد دراسة أربعة
عشر عاماً لا أ أكثر ولذلك أسباب :

١ — ادخالي في المدرسة وأنا صغير السن فسممت نفسي منها خصوصاً وإنها
كانت بعيدة عن أن تجلب السرور للقلوب الصغيرة .
٢ — دوام انتقال والدي من بلد الى آخر فكانت تنقطع سلسلة التعليم ثم
تبدأ وكان يعسر علي وصلها .

٣ — قد غضب والدي ذات مرة من ناظر المدرسة لأسباب خاصة
فأخرجني منها وبذلك ضاع علي ثلاث سنوات قضيتها في مدرسة الفرير حيث
برنامج التعليم « يختلف تماماً عما هو » عليه في المدارس الأميرية فلما رجعت الى
النظام الحكومي سقطت مرتين في شهادة الدراسة الابتدائية في مادة اللغة
الانكليزية .

٤ — ولرغبة والدي في استعاضة تأخيرى أرهقني بالدرس وكم ساقني بالعصا
والضلع . مؤملاً أن اعوض ما فتنني بهذه الطرق الظريفة معتقداً أن تأخرى سببه
لم ينتج بحسن تصرف من جهة وكثرة تنقله من جهة أخرى ، بل حسب أن
السبب ينحصر في « وساخة مخي » وكم هددني رحمه الله بصندوق البوية أو بعدم
دفع البديل العسكري عني لأكون مراسلة لأحد الضباط

وعلى القارئ أن يبحث شكائتي بانصاف ثم يحكم بعدئذ لي أو علي . فهل
يطبق الطفل أن يعيش عيشة التعماسة التي كنت فيها ؟ أخرج من المدرسة
فأجد فتى المرتب منتظراً في المنزل ليسمع لي :

« ولما احتضنته خديجة كان يمر على الأرض اليابسة فتخضر . وإذا ما سار
ظلالته غمامة تتبعه أنى ذهب » قال البوصيري :

ظلالته الغمام وهو ابن خمس فوقته من حر شمس حمى

وأنته الأشجار تسعى اليه ساجدات لوجهه الاقمرى »

ومثلاً : وعند ولادته عليه السلام اهتز الايوان ايوان كسرى وخبت الزهيران

نيران المجوس وغاضت بحيرة ساوى وانقطع وادى نهاره وتراءت لأهل قيصر
قصور الروم وتجلت للأرض زهر النجوم . قال الشاعر

وتراءت قصور قيصر للروم يراها من داره البطحاء
وتدلت زهر النجوم اليه فأضاءت بضوتها الأرجاء

ومثلاً :

« اعلم بأن أبا النبي وأمه أحياءهما ازب الكريم البازى
حتى له شهداً بصدق رسالة صدق فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة عارى »

وأشد هولاً مما سبق هو ما كنت أحفظه عن ظهر قلب دون فهمه مرعفاً

مثل :

« س — ما الذى تفعله الحيضاء والنفساء اذا انقطع الحيض والنفاس
قبل طلوع الفجر ؟

ج — تنوى وتغتسل »

وكم كنت أغيب الشيخ عند ما أسأله عن معنى الحيضاء والنفساء أو عن
النجاسة الصغرى والكبرى أو عن ريح القبل والذبر .

وعند ما كان يريحنى الله من الشيخ العلامة الذى يفسر « فى جيبها حبل
من مسد » بقوله يعنى فى وسطها (تارة وفى رقبته تارة أخرى » حبل والجار يفهم
معنى حبل الذى أسأل الله ان يشنقك به . ومسد . هو نوع من الحبال اسمه مسد
كما تقول حبل ليف أو حبل خيط » يستتباني باستاذ اللغة الانكليزية
فيرهقنى وكان كاتبا فى ديوان والدى . وكان يضع الالفاظ مضغاً ليرينى أنه
واقف تماماً على أسرار اللغة الانكليزية . ولكن والحق يقال كان يعقوب افندى
كثير الخنولى مع ميل ان المداراة فقد بلغ به الحال أن دارانى أمام والدى أكثر من
مرة خلناً منه بأننى أتوسط له فى علاوة أو درجة . وكنت أوهمه أننى سأفعل . أما
ذلك الشيخ فقد فهم والدى حق الفهم ولذلك كان دائماً الشكوى منى وكم ضربت

ضرباً مبرحاً أمامه وأظن ذلك لكي يفهمه الوالد بأنه غير مقصر في تربية بنيه
ليشبهوا رجالاً

ولما سقطت دفعتين في الشهادة الابتدائية أدخاني والدي مدرسة ثانوية
أهلية لكي أتمكن من اللغة الانكليزية التي يدرسها هناك رجل انكليزي
وبالفعل استغفدت من دخولي اذ مررت في الامتحان الابتدائي لما قدمت لثالث
مرة وحصلت على ١٦ من ٣٠ درجة

وأذكر أن والدي سألني عن المدرسة الثانوية التي أرغب دخولها فتدلت عليه
ثم قلت أليس الأحسن لي الاستراحة الآن سنة استخدم فيها مثل فلان الذي
التحق بوظيفة في مصالحة البوستة بخمسة جنيهات فكان الجواب صفقة ألقني
على الأرض باكياً

وبذل والدي جهد الجبارة لي دخاني مدرسة ثانوية ولكن ضاع شعيد فلتزمت
أن أقضى سنة أخرى في الثانوية الاهلية وحدث عن سيرى وسلوكي هناك دون
خرج فبعد ما كنت اشتغل بحرارة في العام السابق لكي أحصل على الابتدائية
أهملت اهللاً فظيماً ولم أكن الوحيد في ذلك بل تبعني بقية التلامذة وكنت
الوحيد بينهم الذي تحصل على شهادة. وأذكر أنني طبعت بطاقة زيارة زينتها بلقب
« من حملة الشهادة الدراسية الابتدائية ومن طلبة المدارس الثانوية » وانصرفت
الى التظاهر بما يحتم على مركزي العلمي فكنت أسير أكثر من ساعة يومياً ذهاباً
واياباً على قدمي لكي اقتصد مصاريف الانتقال فاشترى بها وبمصرفي الخاص
فدجال قهوة وعشرة سجائر حملي وجريدة اللؤلؤ وانحصر في الاشتراك في جميع
المظاهرات التي نظمها الحزب الوطني في عهدي المرحومين مصطفى كامل ومحمد فريد.
ولو كانت ماليتي تسمح وقتئذ لكنت انضمت الى ذلك الحزب وأما معلوماتي
فلم تخرج عن حفظ قصيدة

« كم ذا يكابد عاشق ويلاقى بوقصيدة أكبرت حتى أنهم صلبوك. ومقالة
خالعوك يا سعد وموال ايش بعد حكم الملاحظ والشویش والباش. ومقالة الاسلام
غريب في بلاده وغير ذلك من القصائد والمقالات التي كانت تتناقلها الأفواه

في ذلك الحين .وعند ما انتهت السنة كنت الثاني في فصلي .فذهبت الى المدير
أعتب عليه فقال اننى كنت من الذين يتقيبون كثيراً جداً عن المدرسة ولا يظن
القارىء اننى كنت الثاني حقيقة بل كان الفصل وعدده فوق الستين مقسم الى
قسمين . أول ويموى كثيراً من الاوائل المكررين . وهم الذين يثابرون
على الحضور اكثر من غيرهم ، وثاني ويموى بدوره كثير من المكررين وهم الذين
يحضرون قليلا أو لا يحضرون بالمرة . ودرجات الاول ٢٥ في كل علم أو ماحول هذا
الرقم ودرجات الثانين تقرب من العشرين

وشعر أبى بالواقع فلما بدأت السنة الدراسية الجديدة ضاعف جهده للاحاق
بالمدارس الاميرية . ولكن بدون جدوى . وهنا اذكر اننى استحصلت على توصية
من ناظر المعارف ولكن ناظر المدرسة فضل عنى آخر لم يحصل على الابتدائية
لان الذى أوصى عليه كان انكليزى بوظيفة مدير التعاليم الفنى والزراعى والصناعى
وبفضل عدم قبول التوصية التى كانت بيدي قذف والذى من كنانته ما أخرسهم
محافظة على مستقبله ، فارسالتى الى جامعة عساي . أجعلنى فيها مكاناً

الى الاستاذ جبر ضومط

بمناسبة يومه الخمسين

جأت اليك تبت مرشحاتها وفؤادها يلتاع من حشرات
تبكي على المجد المثل قد مضى والحزن يمزج بالدماء عبراتها
ما أن نسمعت نداءها حتى (م) اندفعت مغامراً تجلوها غمراتها

كنت ملايكة عصرها فيما مضى تعذولها في الارض كل لغاتها
سحرت عقول الناس رقة لفظها وقلوبهم رققت على نعماتها
ان خاطبوا الرحمن فهي وسيطهم أو املوا خيراً فمن آياتها
دانت لصواتها ملوك زمانها وحنّت لها أمم الثرى هاماتها
هبوا اسألوا أبناء مصر لم سألوا لغة الجدد وآثروا كتابها ؟
وسألوا فلسطيناً وما قد كان من متنوع الأقوام في جنباتها
وسألوا شعوب الشام ماذا آتسوا فيها فأضحوا في عداد هواتها
وسألوا العراق فأهلكهم من لسان (م) قد بلوا من قبل فتح كتابها
خفتت بأحساء البلاد بنودها من مدنها الكبرى الى فلواتها
من سندها الى الغرب الاقصى وأندلس (م) ومن اهرامها لغراتها

وجنى عليها أهلها حتى هوت من بعد أن رقيت الى ذرواتها
جاء الرواة فوثقوا أضفادها وآتى النحاة فشبكوا عقداتها
ولها ذروها عن تعهداتها ولم يحموا ذراها من أذى نكباتها
حتى اذا مر الزمان وأقبلت أيامنا المأساوى بمخترعاتها
قالوا هي اللغة التي اعتلت وشا نحت بيناهم أوجدوا علائها
وتسكبوا عنها وراموا غيرها بدلا ولم يصغوا الى لهفاتها

*

فأتتك ترسف بالقيود كئيبة
لما تفاقم خطيئها أمتك مو
فأسفت غصتها وكفكت الدموع
وظلت طول العمر تسمى دائماً
خمسین عاماً قد صرفت مقوماً
وملقناً أبناءها آدابها
فككت خواطرك العراب قيودها
وبدت «خواطرك» الحسان تحفها
وعلا بفلسفة البلاغة كعبها
البيتها ثوباً قشيباً بعد أن
ذا العيد عيد جميع من شفقوا بوقع (م)
فلهنأ قن الناطقين بضادها
والغم قد أحنى قويم قناتها
قنة بأنك جابر عثراتها
ع الجاريات على سنى وجناتها
حتى أزات مجاهداً كرباتها
منآدها ومسدرأ خطواتها
ومثقفاً أذهانهم بعظاتها
فإذا بها جات على اخواتها
فرأى الانام خلأها حسناتها
حتى نبت عنها سهام عداتها
أبلى الزمان وناسه بذلاتها
كلامها وتعثقوا نبراتنا
عرفوا بأنك مستعيد حياتها

ابراهيم رازي

حول البائية أيضا

- ١ -

كتب لـمجلة العصور حضرة البهائي أبو الفتوح محمد بطاح رسالة من تسع صفحات (فولكاب) منسوخة على الآلة العربية الكاتبة بخط دقيق وطلب خدمة للعلم والادب وانصافاً للحقيقة الخ نشر هذه (الكلمة) في العصور . وبما أن المجلة لديها عدة مواضيع تبحثها ولم تخصص فقط للنشر بروجندا لصالح البهائية ، كلفني صاحب العصور بتلخيصها للقراء مع ابداء ملاحظاتي عليها . وأنا ألبى طلبه والله شهيد على أمانة تلخيصي

بدأ الكاتب الفاضل رسالته بسيل من المدح تفضل بتوجيهه الى شخصي الضعيف فأسكرني وتصور لي مكانة عالية من العلم والادب ووصف إبحائي بالدقة والتحقيق شأن ذوي الافكار السامية والآراء النزيهة الوافية (استغفر الله هذا بعض مما عندكم) وارتفعت بعد ذلك الستار عن الفصل الثاني . فاتهمني انني مفتر وأنتي شتام ومشوه ومشوش وقاذف وجارح ولم أسالك مسلك النقد الشريف . وانه لا يوجد في الأمة من هو في أقل حاجة الى سماع أمثال بياناتي غير البريئة . وقال ان سوء ظني بطلاب الحقائق وأهل العلم والادب في مصر والشرق أجمع ، دعاني الى الاعتقاد بأن عقولهم قاصرة . ومداركهم منعدمة تستشغ ما كتبتة من الصفات (استغفر الله مرة ثانية وأشكركم على حسن ظنكم بي) ثم قال انني أكره البهائية كراهية دفعت بي الى كتابة ما كتبتة (واني بكل تواضع أقول أن السبب في مخاصمتي للبهائية انها اقترضت مني شئنا وأبت ردة لي حتى الآن) ويقول أنني أردت بذلك ايقاف تيارها الجارف وزحزحة ظاهرها الممدود الوارف ولكن طاش سهمي . وكنت (كمناطح الجبل العالي) فالبهائية قد انتشرت في جميع أقطار العالم (زادها الله انتشاراً) وسقطت بأنوارها على كل المعاهد والربى (فبهنا المعاهد . فما المقصود من الربى) وفي مكان آخر ينكر ما قلته في مقالى الاول من أنهم يدعون أن لها ملايين من الاتباع . ثم شمر عن ساعديه

رحاول اثبات أن البهائية دين. والبرهان على ذلك في اعتقاده هو أن أحد القضاة الشرعيين ذكر في حكم له أن البهائية دين جديد واستدرك قائلاً — بغض النظر عن وجهة نظره في هذا الدين — له عقائد وأصول (حسن ياسيدي فقد علم لنا ما أرتآد فرد من الناس)

ودهش حضرته لعدم اقتناعي بما سبق أن نشرت العصور لأحدهم رداً على متالقي عن البائية ورأى في هذا منتهى الغرابة لسقامة وضعف ما أطرته من سوء فضلي ومعرفتي (هكذا اللطاف والافلا) وقال ان الكتاب الاقدس نزل بلسان عربي مبين (أجل. وكذلك يتكلم أهل تونس بلغة عربية مبينة مشابهة لغتهم) ثم استطاع أن يمكّنني جيداً قتال وكيف كذب الباب أستاذاً للشيخ الاحسائي؟ واه تمام الحق في اعتراضه هذا لان المطبوع هو « وكان من تلاميذه الشيخ الاحسائي » وصحته « وكان من تلاميذ الشيخ الاحسائي » فلهذا هنا زائدة وعقلي الضعيف يظن أن من الممكن على أي كان ملاحظة هذا الخطأ المطبعي ولكني لا أحب أن أخيب ظن الفاضل فأعترف نادماً بأن (خطيئتي عظيمة) أما (قفشته) الثانية فتتجصر في السؤال عن اسم كتاب الأزل وما فيه وسأحاول أن أجاب عن ذلك مستقبلاً فليدعني المناظر الفاضل وقتاً حتى أتمكن من درس الازلية لأنني لم أحاول ذلك حتى الآن وأكون مبتلياً لو تفضل بإرشادي إلى مراجع وأظن أن الازلية شيء والبهائية شيء آخر. فهل يعرف حضرته اسم كتاب المورمون وما فيه؟ فهذا لازم لا ثبت أنه يعرف شيئاً عن البهائية ما دامت البهائية توجب البحث عن كل الأديان

ويسألني عن ذكر البيان الذي كتبه بهاء الله وفيه يقول أن الأزل صعد إلى السماء واتى ألفت نظره بأن بيانات البهاء لم يحتفظ بها الا بعد قضاؤه لعدة سنين في عكا وذلك بعد أن رفع الضغط عنه وأما قصة الصعود فكانت في ادركه. فلما كتبت البيانات كانت المسألة نسياً منسياً

وحضرته محق في قوله بأن الأزل لم يمت قبل أخيه، بل بعده بمدة طويلة واتى شكره على تفنيهي لهذا الخطأ وبمراجعة المصدر الذي أخذت عنه لاحظت أن

المقصود هو « وبعد اضمحلال الازلية » وليس « وبعد موت الازل »
 وحاول أن يورطني ورطة عظيمة لاني قلت « أريد أن أدلي اليك بشيء
 من تعاليم البهائية ولكني أجهل كيف أفعل ذلك » وبني خياله العلالى من
 القصور على هذه الجملة فتبعني بالجهل والتورط المضحك ولطمني ببیت شعر أوله
 (والحق يفعل في النفوس الخ) ويفهم من تلاوة جملة أنه يحاول اظهار عدم
 اتيانى بشيء عما يسمونه المبادئ البهائية مع اننى كتبت أربع صفحات كاملة
 من العصور حاولت أن ألم فيها بكل مايقوله البهائيون وصارحت القراء بعدها قائلًا
 اننى أجهل كيف أدلى بها (ولم أقل أجهلها) وبالطبع المقصود من ذلك أن ما يسمونها
 التعاليم البهائية متنافرة وغير منظمة ، لا رابطة تربطها ولا عناية تجمعها فكأنما
 يتلقف زعماء الجماعة نظرية يزجونها في البهائية ويدعون انهم موجودوها ثم صفغنى
 بضرته بشعر أوله (ماضر شمس الضحى الخ)

ثم يعثر من بعد ذلك على قولى ان البهائى مسلم بين المسلمين واحد بين
 الملحدين فيقول ان البهائى يحيط بكتب الأديان كلها « ياتالعلم وبالبحث » ويجب
 أن يكون مؤتمراً بأوامر الكتب السماوية ومنهياً عن نواهيها (يعنى يجب على البهائى
 التوفيق بين نظرية العين بالعين ونظرته من ضربك على خدك الأيمن) اي جماعة
 المتناقضات وكيف يمكن اتباع المتناقضين في نفس الوقت ؟ ثم يصفغنى مرة
 أخرى بشعر (ومن يك ذا فم مر مريض الخ)

ويحتج بكل قواه على قولى أن عباس افندى كان معروفاً في حيفا بالشيخ
 عباس ويظن اننى أريد أن أنال بهذا من (جلاله وعظمته) وأقسم اننى ناقل ولم
 يدر بخلدى قط أن لقب شيخ يقل من (جلال وعظمة) أحد الافندية فقد كان
 المذكور يلبس العمامة فهو شيخ وكان متقدماً في السن فهو شيخ وكان مقدم جماعة
 فهو شيخ فهو والحالة ثلاثة شيوخ معاً وليس شيخاً واحداً ثم صفغنى مرة أخرى ببیت من
 الشعر أوله (حسدوا الفتى ان لم ينالوا سعيه الخ) وآخر (وهبنى قلت هذا
 الصبح الخ)

ولأجل أن يثبت لى أن الشيخ عباس لم يكن شيخاً بل افندياً لا يتأثر

بالمطاعن والمثالب كتب ٥٧ بيتاً قيات في مدحه (آمنا انه افندى وافندى
وافندى وليس بشيخ أبداً) ثم عرز قوله قائلاً وعند — صعود — عباس افندى
نشرت جريدة انفير الغراء . « ورصع صفحتين من رسالته الى المجلة بآيات الشعر
المملوءة بالمدح . وهنا اعترف بأننى تعلمت من حضرته شيئاً جديداً هو أن الشيخ
عباس (استغفر لله بل عباس افندى) صعد بالطبع الى السماء لانها وحدها التي
يصح القول بأن الانسان (هل كان كذلك ؟) يصعد اليها فهل مات ثم قام من
بين الاموات فصعد الى السماء وجلس على عرش الآب وهل أيضاً يأتي بمجد عظيم
ليدين الاموات أم انه صعد ولم يموت ؟ أفدتنى أفادك الله

وهاج وماج لأننى بسطت رأياً يقول أن البهاء جن في أواخر أيامه فلم تغضب
سيدى وأنا لم أجزم بل أظهرت فقط أن فيه قولان . وقد علمت رأيكم وهو أن البهاء
لم يكن مطلقاً ولكن أليس من واجبي بسط رأي الخالف أيضاً ؟ وهل يصح
منطقياً اثبات عدم جنون البهاء بالاثبات بسبعة شواهد من القرآن تثبت أن النبي
اتهم بنفس النهمة ؟ وشاهد من الانجيل يثبت أن المسيح رمى بالجنون فهل هذا
شئ من المنطق ؟ وأتى بعد ذلك بمراث شمريّة جمّة ذكر فيها البهاء كامام الهدى ...
وظهرت معجزاته تتالاً ... وغير وعن ذى مقلة عمياء ... واعتري الارض هزة
(زلزالا) يوم أودى ... وهوت حزناً أنجم الجوزاء (أحسنت أحسنت)

وبهذا انتهى ثم بدأ (بحزن ناعماً) للمجلة ووصل الى بيت القصيد وهو طلب
وضع المجلة تحت أمره ليقوم فيها بيروبا غندا صاحب البهائية . وأنى اقترح على
صاحب المجلة أن يخصص داخل ورقة الغلاف الاخيرة لنشر الدعوة البهائية
بأجر مناسب ووالله قد وقع مع البهائيين ولن يغشه منهم غير جمال
الحول المتولى .

عمر عنایت

البابية والبهائية

نشر السيد « عمر عنایت » مقالا عن البابية والبهائية في الجزء السادس

من المجلد الأول من مجلتكم الزاهرة ضمنه بعض معلومات وملاحظات ، استلقت نظري كما استلقت نظر كل من له إلمام بحقيقة المذهب الباطني . وبما أنني أحسد الذين سبقت لهم نشرات مطولة في هذا الموضوع . وحيث قد وجدت في هذا المقال بعض النواقص التي يجوز أن نعزيمها إلى الاختصار الوارد في مقال الكاتب ، وددت أن أدلي لقراء مجلتكم المحترمة بمعلوماتي الآتية المثبتة على الدرس العميق والاحتكاك الطويل والتتبع في المصادر المعول عليها .

وبينما أنا أدون هذه المعلومات ، وإذا برد طويل للكاتب « كمال أفندي صموئيل مسيحه » منشور في الجزء الثامن من المجلة انبرى فيه صاحبه للدفاع عن الباطنية والباطنية بحماس بلغ منتهاه ، وإذا باعتراض مختصر من « السيد عمر عنایت » على هذا الرد ، وإذا بجماعة من البغداديين يحضون هذا وذاك على الرد على دينك المتأين وأشر حقيقة المذهب الباطني وما آلت إليه قضيته . فالتزمت آنئذ بإرسال هذا المقال المطول على أمل أن تفسحوا المجال لنشره خدمة للحقيقة والتاريخ .

كان في مدينة « شیراز » من أعمال فارس سيد يتصل نسبه بالسلالة الطاهرة الحمديّة . رزقه الله ولداً عام ١٨١٩ م . (غرة محرم الحرام ١٢٣٥ هـ) سماه « علي محمد » وانتقل إلى دار البقاء وولده في الثالثة من عمره فتعهد الطفل خاله (الميرزا علي) وكان مثيراً يتعماطى التجارة بنطاق واسع . وصودف أن أسواق التجارة كسدت في « شیراز » فانتقل إلى أخته إلى « بوشهر » ليشغل معه في التجارة . حتى أنه أبرع فيها استعمل بعماله وعطف يدرس العلوم الدينية والرياضيات علاوة على أشغاله .

وقد اتفق المؤرخون المحايدين على أن الميرزا « علي محمد » عند ما بلغ العشرين من عمره أصيب بمرض عقلي اضطره للهجرة إلى العراق فجاؤا كربلاء ونزل ضيفاً على السيد كاظم الرشتي رئيس الكشغية فيها . ومذهب الكشغية هذا قام على اقتضاخ مذهب الشيخية الذي ظهر في كربلاء بالعراق عام ١٢٤٠ هـ . إلى يد الشيخ أحمد الاحمائي . وما توفي الشيخ أحمد عام ١٢٤٢ أخذ تلميذه السيد كاظم الرشتي مقامه وأظهر المذهب الكشفي كما أسلفنا .

وكان الميرزا « علي محمد » شديد الاتصال بالسيد الرشتي الى درجة أنه لم يكن ليفارقه ساعة واحدة طول النهار . وبعد أن أتم في العراق أربعة أعوام زار خلالها البصرة و بغداد ، رحل الى الحجاز عن طريق البحر . الا أنه غير وجهة سفره وهو في عرض البحر ، فعاد ونزل في « بوشهر » ، حيث وجد جماعة الرشتي واعوانه يبدئون الدعوة في بلاد فارس لتأييد المذهب الكشفي . وبينما هم في تلك الوضعية اذ نعى السيد كاظم من كر بلاء عام ١٢٥٩ هـ . ١٨٤٣ م . وأرخت وقته بعبارة « مات منير الهدى » ، فعان الميرزا علي محمد « ، خلافة من بعده ودعى نفسه بالباب . أي باب الوصول الى « المهدي المنتظر » والخلائق الآلية .

وسمى نفسه بالنقطة (١) وتبعه دعاة الرشتي وكان عددهم ١٨ نسمة فسماهم وهو معهم بالحروف الحية وهو الاسم الذي تعرف به البابية حتى الآن (٢) . وكان من بينهم فتاة في غاية الجمال والكمال كانت تلقب بـ « قرة العين » واسمها أم سلامة بنيت املا صالح البرغلي ابنت في الدفاع عن البابية بلاء حسناً كما سيحيى التفصيل ومن هنا ظهر المذهب البابي عام ١٢٦٠ هـ . ١٨٤٤ م . وراح أنصاره يبدئون الدعوة لتأييده في جميع أنحاء ايران .

ومع أن التعاليم التي أتى بها الباب نظرية بحتة مبنية على أسس الحلول والاتحاد ، أو بالأحرى كانت تصورات وهمية لا يقرها العقل ولا يقبلها المنطق فلها صادفت صدوراً رغبة من بعض ذوى النفوس الضعيفة على أنها تقوى على مجاهدة الخقائق والقضايا العلمية . أما الباب نفسه فإنه لما رأى أعوانه يرددون أنا قائم ادعى بنفسه أنه هو « المهدي المنتظر » وأنه هو الذي سيملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن امتلأت ظمأً وجوراً .

(١) المقصود بالنقطة هو ما جاء في أصول المذهب الكشفي من أن الوجود نقطة ولها مظاهر . فواجب الوجود هو النقطة الحقيقية والنبي (صلعم في حياته هو مظهر لها أما بعد موته فالباب هو المظهر كما ترى البابية الحسيني

(٢) وسبب تسميتهم بالحروف الحية يرجع الى وجوب وضع عدد يملو كلمة الـ (واحد) التي يعبر بها الله عن نفسه . قالوا ستة والالف واحد والخاء ثمانية والبدال أربعة والمجموع (١٩) ومن هذا العدد الى الـ (١٩) يتعد « الواحد » ، الذي يمنح الحياة وهو الله جل شأنه . الحسيني

يعتقد الباييون بوجود آله واحد أزل كما يعتقد المسلمون . ولكن هذا التوحيد يختلف عن التوحيد في الاسلام كل الاختلاف . فالتخلق في الاسلام ذات بأوسع معاني هذه الكلمة ، له شخصية مستقلة عن الكون « أى معنى إيجابياً » ولكن الخلق في العقيدة البائية متوحد بمعنى أن ليس له شريك يشاركه في القدرة « أى معنى سلبياً » والخلق في الاسلام صادر عن أمر الله وتقديره « أى أنه فعل » ولكن في مذهب البائية الخلق مظهر الله ذاته « أى أنه صفة » فالتخلق في الاسلام يخلق لأنه أراد أن يخلق . وعند البائية هو يخلق لأنه لا يدرك حياً مؤثراً بالخلق » والبائية في خلق الكون نظريات . منها أن الله أحرفاً مقدسة تتمثل الصفات الإلهية فيها . ومن هذه الصفات القدرة والارادة والتأثير والكبرياء والوحى وغيرها ويرى المسيو جويينو مؤلف كتاب (الديانات والفلاسفة في آسيا الوسطى) أن آله الباييين ليس بآله جديد . فهو آله فلاسفة الكلدانيين والاسكندرانيين وفلاسفة حكماء الشرقيين الذى عبده الامم الشرقية ثم جاءت الديانة المسيحية والاسلامية فحجبته عن تلك الأمم . ثم جاء الباب فدعى اليه وكشف للناس الحجب عنه . انتشرت هذه المبادئ بين قوم في صفات الايمان فصادفت ترحاباً منهم كما أسلفنا . ولما كانت السلطة الدينية هي التى تسير أمور ايران فى تلك الآونة ، وحيث أن حركة الباب لم تكن ذات اتجاه دينى بحث بل كان للسياسة فيها منزع دولى ، لم تشأ الحكومة الايرانية أن تقف مكتوفة اليدين أزاء المهازل التى قام بتمثيلها الباييون على مراسح الدين فى سائر أنحاء ايران ، خصوصاً وقد قامت قيامة رجال الدين ضد تلك الحركة ، فوجهت عيونها ترقب حركتهم وسكناتهم . ولما استفحل أمرهم قبضت على معظم زعمائهم ودعائهم وزجنهم فى غياهب السجون . ثم أتت بالباب الى « تبريز » مخفراً بثلة من الجيش فجمعته بعماء المدينة وفضلائها لينظروا . ولما لم يجدوا للتعالم الصحيحة والمدعيات المبشر بها فى قلبه . وطناً حكم بعضهم باعدامه وحكم البعض الآخر بجلده فنفذت الحكومة فيه الحكم الاخير وسلمته الى خاله « الميرزا على » على أن لا يتصل بأحد ولا يكتبه . فهاجراً الى اصفهان وصودف أن وباء انتشار فى المدينة أثناء هربه فاقعد ولاية الاهور عن تعيبيه . فبينما أنه لقي من حاكم اصفهان كل عطف وكل تحفظ

لامر الذي أوجب تأثر رجال الدين فأمطروا بلاط طهران وأبلا من البرقيسات
فكتبت الحكومة الى والي اصفهان أن يرسله محفوظاً ألا أنه لم يفعل ذلك بل
أرسله الى خارج المدينة وأعادته ليلا الى داره فمكث عنده أربعة أشهر أعتيل
خلالها الوالي فاطم عن أخيه « كركين خان » علماء اصفهان على أمر الباب
فهاجت البلدة وماجت لذلك وتدخلت الحكومة في القضية فأرسلته الى تبريز
مصحوباً بثلة من الشرطة ومن هناك أرسل سجيناً الى قلعة « جهريق » ومكث
بها تسعة أشهر كاملاً ثم نقل الى سجن آخر وبقي فيه ثلاثة أشهر أخرى وفي
تلك الاثناء أبي دعوة ربه المغفور له محمد شاه عام ١٢٦٣ هـ . خلفه ابنه ناصر
الدين شاه وكانت ايران تخرج اضطراباً من فتن البابية ومقاومة العلماء لها ووقعت
معارك دامية بين البابين وبين خصومهم مثل فيها الاولون بالآخرين أنواع
الفضائع والمحرمات من فتنك وذبح وسبي وهتك . ولو أردنا أن نأتي على وصف
دقيق لتلك الحوادث التي دامت زمناً طويلاً لاحتجنا الى تحبير بضع ملازم من
هذه المجلة الا أننا نوجزها فنقول أنها انتهت بوضع الحكومة سيفها محل الندي
فأصدرت أوامرها الى والي أذربيجان باعدام الباب رمياً بالرصاص .

وفي اليوم السابع والعشرين من شعبان ١٢٦٥ هـ . جيء بالباب مع شخصين
من المغالين في نصرته هما الملا محمد علي المازندراني والسيد حسين اليزدي
« من يزد » لتنفيذ الحكم فيهم . الا أن جماعة من الاخيار دخلوا عليهم وطلبوا
اليهم التوبة فلم يتوبوا الا السيد حسين فانه قبل النصيحة واستغفر فاطلق سراحه
أما الباب وصاحبه فقد علما بحيل في القلعة وتقدمت ثلة من الجنود أعدت
لاعدامهما قرمتهما بالرصاص ولما انقشع دخان البنادق وجد الملا محمد علي يتمخبط
بدمه وهو يقول « هلا رزيت يا مولاي » أما الباب فقد انتطح حبله واختفى في
زاوية من القلعة فجاء به للمرة الثانية وعلق رفات فيه الكتيبة فلما بصاحبه
فمات . وفي رواية لساذج كتب عن بهاء الله أن الكتيبة امتنعت عن إطلاق
الرصاص على الباب بعد أن نبى في المرة الاولى فاستبدلتها الحكومة بغيرها

وتدعى البائية أن هذه العملية تمت في ٢٨ شعبان ١٢٦٦ هـ والفرق بين الروايتين سنة ويوم واحد كما ترى .

ثم أن الجثتين سحبتا بالحبال في الازقة والطرق ورُميتا في خندق خارج لمدينة حيث بقيتا فيه أياماً طعنة للسكاكر . ويرد ساذج به إلى أن سليمان خان بن يحيى خان أحد كبار التجار في أذربيجان تمكن بمساعدة حاكم المدينة من نقل الجثتين وحفظهما عنده مدة من الزمن حتى ورد أمر البهاء الذي خلف الباب المقتول بدفنهما ففعل .

وقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية بأن جماعة من البايين نقلوا الجثتين إلى عكا حيث دفنتا في قبر لم يزل مزارا وهي رواية تنفطر إلى تأييد تاريخي لاسيما وحقيقة الحال لا تؤيد ذلك .

وبعد أن انتهت هذه المأساة أعملت الحكومة الإيرانية سيقنها فيمن بقي من البايين فقتلتهم عن بكرة أبيهم إلا الذين اختفوا أو هربوا . وباتت ديار دار يوس بعد مقتل الباب في هدوء وسكون حولان كاملان لم يذبس أي أحد خلالها بينت شقة . ولكن في ١٥ أغسطس ١٨٥٢ ظير ثلاثة أشخاص يريدون أخذ الثأر لضحايا المذهب البابي وعمدوا إلى اغتيال السلطان ناصر الدين شاه، إلا أن حركتهم هذه أتت بعكس النتيجة المتوخاة . حيث أوجبت اضطهادات جديدة من الإيرانيين ضدهم . وفي ٣١ آب ١٨٥٢ جاء دور قرة العين الشاعرة الجميلة المارة الذكر وأعلنت أنها تبغى أخذ الثأر لقتلى الباب فتعقبها الحكومة وقبضت عليها وعلى أتباعها . أما هي فقد أرسلت إلى طهران حيث أعدمت على فوهة مدفع جبال جسدها تطاير في الهواء أثرا بعد عين . وأما أتباعها فقد قتلوا وصلبوا وانتهى كل سئ بانتهاء حياتهم . ولم يحدث أي شيء يذكر حتى ظهور البهائية التي قامت على أنقاض البائية .

كان من بين أتباع الباب الذين خلصوا أنفسهم من اضطهادات الحكومة الفارسية أخوان لآب . يدعى الأول ميرزا حسين علي ويسمى الثاني ميرزا يحيى نور . والمعروف أن الباب وهو في سجنه بقاعة جهر يق أحس بأنه في أواخر

أيامه فكتب وصيته وختمها بختمه وأوصى بالزعامة من بعده الى المرزا يحيى نور
على أن يخلفه شقيقه المرزى حسين على ويتولى وكالته طيلة زعامته . فلما قتل
الباب على الوجه المذكور وأوقعت حكومة ايران ضروب الاضطهاد بالبايعين ،
أحب المرزا يحيى نور أن يخفى أخاه عن أعين الناس مخافة أن يفتضح أمره
فتفعل فيه الحكومة ما فعلته بالباب نفسه . لاسيما وهو رجل روحانى مقدس يجوز
في مذهب البايية أن يفتديه جملة أشخاص بأرواحهم . فقام يكتب الناس
ويخاطبهم بصفته وكيلا . ولما كثرت تعقبات الحكومة ضدهم كما أسلفنا هرب
وشقيقه الى بغداد فوصلاها في غرة محرم الحرام عام ١٢٦٩ هـ .

ولد البهاء « المرزا حسين على » عام ١٨١٧ م في مدينة طهران « وهذا تاريخ
متفق عليه » ونشر مذهبه فيها عام ١٨٤١ م ثم جاء بغداد هاربا مع شقيقه عام ١٨٥٣
وطلبت الحكومة العثمانية تسفيره وأخاه فسفرا الى الاستانة عام ١٨٦٣ وبعد
قليل من الزمن نقلوا الى أدرنة ، وبعد أن مكثا فيها خمس سنوات كاملات رأت
الحكومة أن تفرق ما بينهما فنقلت البهاء الى عكا عام ١٨٦٨ حيث توفي فيها
صباح ١٦ مايو ١٨٩٢ م وعمره ٧٥ سنة وأرسلت أخاه الى قبرص في البحر المتوسط
وذلك في نفس السنة حيث بقى فيها الى أن مات في ضواحيها عام ١٩٠٨ .

وتحريير الخبر هو أن البهاء « المرزا حسين على » عند وصوله بغداد افتضح
أمره بين العلماء ونزّل موقفه بين الناس فرأى أن لا سبيل الى النجاة ، الا باخفاء
نفسه أو الهجرة الى مجاهل لا يتسنى لأحد اكتشاف أمره فيها . فسافر وحيدا
فريداً الى جبل يقال له « سركلو » من أعمال كردستان الشمالية بالعراق العربى
وظل مدة مديدة يتنقل من محل الى آخر وكان يختلف في بعض الاحيان الى
السلمانية « احدى المدن العراقية في كردستان » برى الدروشة تارة وبرى العلماء
طورا حتى اذا عرف سكان هاتيك الديار أمره ، عاد مسرعا الى بغداد وأخذ
يصلح من شئون طائفته ولم شعثهم . وفي تلك الأثناء دب ديبب الحسد في نفس
أخيه المرزا يحيى نور الذى لقب أخيراً « بصبح أزل » وبدأ ينازع أخاه في
أبهة الزعامة ونشبت معارك بين أتباع الاخوان لا يستهان بنتائجها فتدخلت

الحكومة العثمانية في الامر وكانت قد تلقت في تلك الاثناء التماساً من حكومة طهران بأن تنفي الاخوين الى خارج العراق لأن وجودهما في بغداد على مقربة من ايران مما يزيد الحالة تفاقماً في بلادها . وفي الوقت نفسه كان قد علا ضجيج رجال الدين من حركات البابية والبهائية ودعاويهم المضللة للرأى العام وخافوا على الدين الحنيف من مطاعن هؤلاء فبعدوا اجتماعاً خطيراً في بلدة الكاظميين « بالقرب من بغداد » قصدته وفود من النجف وكر بلاء وسامراء وغيرها وقرروا فيه لزوم مقاومة هذه المبادئ والايقاع بالبهائية وأتباعهم أينما وجدوهم ، فلم تر الحكومة العثمانية بداً من اصدار أوامرها بتسفير بهاء الله وأخيه وجماعتهما ومن أحب الالتحاق بهما فسفرا الى الاستانة وبلغاهما في أوائل أغسطس عام ١٨٦٣ . ومكنا هناك أربعة أشهر وقيل أنهما بقيا خمسة أشهر . ثم نقلتهما الى أدرنة وبعد أن مكنا فيها خمس سنوات كاملات فرقت بينهما على الوجه المذكور .

وتذكر البابية في كتبها وأساطيرها بأن البهاء أثناء اقامته في عكا كاتب الملوك والامراء في أمر مذهبه ودعى الناس الى نصرته ولكن لم ياب أحد طلبه لا أمير ولا ملك ولا وزير . وفي ١١ ايار من عام ١٨٩٢ اعتراه مرض عضال لم يمهله أكثر من ١٩ يوماً فمات في ٢٨ ايار ١٨٩٢ عن أربعة بنين وثلاث بنات كان أكبرهم سنا عباس افندى الذى تولى الزعامة من بعد أبيه والذى لقب (بعبد البهاء) وسمى (غصن أطهر) . وكانت مدة اقامة البهاء في عكا ٥٤ ربيعاً والذى يجب أن تتنبه اليه الانظار هو أن البهائية استقلت عن البابية رسماً أثناء إقامة الاخوين في أدرنة ، لأن البهاء كان يعتقد بأن تعاليم الباب لم تعد في اعتقاده ملائمة لروح العصر . ومن ذلك الحين انقسم الباييون الى أزليين وهم الاقليه وبهائيين وهو الاكثرية ، وأخذت البهائية تنتشر في سائر الانحاء

مات البهاء عام ١٨٩٢ م كما اسلفنا فخلفه ابنه الكبير عباس افندى بوصية منه وقد ولد هذا في ٢٩ ايار (١٨٤٤) ونازعه على الزعامة أخوه المرزا محمد على فسبب ذلك انشقاقاً في صفوف الطائفة . ولكن عباس افندى تمكن من أن يتغلب على أخيه بدهائه وفطنته علاوة على العضد الذى لقيه من أتباعه

فاستقر له الحال في أواخر أيامه وقد سافر ١٩٠٨ إلى حيفا حيث جمل فيها مركزه حتى إذا جاء عام ١٩١١ رحل رحلته الشهيرة إلى قارتي أوروبا وأمريكا . وجاء مصر ومكث في القاهرة أياماً كان خلالها موضع التجل والاحترام . كان قد لقي من رجال أوروبا تعظيماً يذكر . فحول عقيدته من الفكرة الدينية إلى المبادئ السياسية . وغرته أبهة الملك وعظمته . فراح يدعو بين الناس إلى تأسيس فكرة جديدة هي عدم وجود فوارق بين المذاهب والأديان . وإن ما جاء به موسى (ع) هو نفس الشيء الذي بشر به عيسى (ع) والذي ادعى به الباب ثم البهاء هو نفس مدعى الأنبياء الذين أنوا من قبل . ورأى ضرورة توحيد الأديان فدعى إليها . ولكن هذه المبادئ غير المرتكزة على قاعدة عامة يصح الركون إليها لم تصادف أذنًا صاغية على الرغم مما نالته من تشجيع بعض الشخصيات البارزة في القارتين المذكورتين . ثم عاد إلى مصر ومنها إلى عكا فبلغها في الخامس من كانون الأول عام ١٩١٣ ، ولما جاءت الحرب العظمى بهولها ومصائبها خدع تعبئة الحلفاء خدمات يذكر ومنها له وقد أنعمت عليه الحكومة البريطانية برتبة فارس الامبراطورية . وتوفي في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢١ حيث كتب وصيته إلى حفيده شوقي الرباني .

ومما يجدر ذكره في هذه العجالة هو أن البهاء عند مجيئه إلى بغداد عام ١٨٥٢ نزل في دار بمحلة « الشواكه » من بغداد فاعتبرت البابية أن هذه الدار يجب أن تقديس وبنيت فيها آثار جليلة وكما دينية وفي عام ١٩٢٤ وقع نزاع بين الشيعة الإمامية في بغداد وبين البايين أفضى إلى انزعاج هذه الدار من البايين واتخاذها مسكنًا لفقراء الشيعة .

أما مذهب البابية ونقده فذلك مالا أريد التدخل فيه بعد أن كتب الأستاذ عمر عنایت مالزم وبعد أن رد عليه صموئيل افندي بما رآه مناسباً . وقد بعثت لكم هذه الحقائق خدمة للحقيقة والتاريخ ولكم أن تنشروها ولكم أن تعرضوا عنها ولكل الرأي في نظر المنطق المحترم .

بغداد صاحب جريدة الفضيلة السيد عبد الرزاق الحسني

العصور — على الرغم مما يدعيه البهائيون من مرونة فكرية وتسامح فانهم في كل ماوصلتني من كتاباتهم يظهرون نفس تلك الروح التي أصابت الكشركة من العصور الوسطى ، روح الجمود البعيدة عن مطاوعات الشك واللاأدرية الفائضة بضروب المرونة الفكرية . ولا أدري كيف يمكن التوفيق بين منازع العقل الجديدة وبين كل مافيه من الاجتماعيات مثاليات يتعذر تحقيقها وكل مافيه من الاعتقادات مسروق من الاديان الاخرى . على أن من العالم عدد عديد من الاديان . فماذا يفيد الناس نشوء دين جديد يدعى البهائية أو الازلية أو أى شيء آخر . مادام أن انتشاره لا يؤدي الى ارهاق الناس بالمذهبيات ودسيسة في المعتقد ولا يهرق دماء الأبرياء سعياً الى هدايتهم . ولكن الظاهر أن الدين البهائي سوف لا يعد قاعدة كل الاديان . بل لما يبدأ صنعه وبالدماء سرف يَحْتَمِلُهَا .

الانيميا الخبيثة

علاجها بخلاصة الكبد

لقد كانت الانيميا الخبيثة لسنتين مضت من الامراض المتعسر شفاؤها وقد كان الاساتذة يحذرون طلبتهم ألا يذكرها أمام مرضاهم كي لا يدخلوا الى قلوبهم اليأس من الشفاء . بيد أن الحال قد تبدل واكتشف الدواء الشافي منها . وقد أوضح ذلك في تقرير عن مائة وأربع وثلاثين حالة نشره أخيراً جبهة من الاطباء المشايخ لميقات مختلفة في مجلة « اللانست » وهذا أكبر عدد من الحالات فحصه الأطباء في آن واحد . ليستدلوا به على تأثير العلاج الشافي وهو يؤيد ادعاء الأمريكيين مينوت ومورفي . اللذين ابتكرا هذا العلاج . وهو من البساطة يمكن بحيث ادهش الاطباء كيف لم يمتروا قبل الآن أبان ابحاثهم المطولة على علاج شاف الانيميا الخبيثة . ولو الى حين . وينحصر في تغذية المصاب بكبد الحيوان .

ومما لم يقطع فيه للآن مسألة أكان هذا الاكتشاف نتيجة الصدفة المجردة أو الشواهد الذي برهنت على صحتها التجارب . بيد أنه مهما كانت هذه التجارب فما لا شك فيه أن كل مريض يغذى بكميات وافرة من كبد الحيوان يشفى من توارض هذا الداء الخبيث ويستعيد صحته وقوة دمه

والصعود التي اضطر القوم الى مواجهتها هي التحايل بكافة وسائل الطهي على تحضير هذا الغذاء للتغلب على كراهية المريض للتغذى بكمية وافرة من الكبد ونفوره منها .

ومن الطرق التي لجأوا اليها هي تحضيرها كسائل لتقدم كذلك المزيج السككولي الشهى وهو « الكوكميل » بحيث تقطع الكبد قطعاً خفيفة وتقدم في كأس مزوجة بمصير الليمون والمواد ذات النكهة الطيب .

وأخيراً سار القوم شوطاً كبيراً حين أمكنهم تحضير خلاصة من الكبد سهلة التناول دون غضاضة ومركزة في حجم صغير ومما لم يعرف للآن تأثير ذلك العلاج .

على جهاز التغذية الانساني اذ أن من المفروض أن الكبد وأنواع اللحوم الاخرى ليست من الضروريات لصحة الابدان . والا كان نصيب كل نباتي الاصابة بالانيميا الخبيثة .

والنظرية المحتملة أن هذا العضو يخزن كمية من العناصر الغذائية المتوفرة في المواد الغذائية الاخرى مما يطلق عليه « الفيتامينات »

ولذلك فهذا العلاج اجتهداً ولم يتعداه بعد الى الميدان التجريبي ومن المشكوك فيه أن فكرة مينوت وميرنى مما لم يسبقهما أحد فيه ويدلون على ذلك بقصة الطبيب الصيني الذى يداوى بالاعشاب وشفائه لمريض أشار عليه بالتغذية بكبد غراب آكل للحم الحيوانى .

وان شهرة النمطائر المحشوة فى الشفاء من الانيميا قائمة على الكبد الذى هو احدى عناصرها .

وقبل أن تختتم هذا المقال لابد من الاشارة الى احصاءات التجارب التى حصل عليها اثنان من اطباء مستشفى لندن اذ اتضح لهما أنه ما بين ١٩٠٩ و ١٩١٩ أثناء معالجتهم لمائة واربعة عشر مريض بالانيميا الخبيثة لم يبق منهم على قيد الحياة الآن سوى مريض واحد وتوفى اثنان وخمسون فى ظرف تسعة أشهر بعد دخولهم المستشفى

بين أن هذين الطبيعيين يؤكد أن نتيجة العلاج بطريقة مينوت وميرنى تبشر بمظيم الامل وهما مقتنعان أنه خطوة ناجحة بين أنه من المشكوك فيه عندهم هو هل يقبل المريض على التغذية بالكبد لاجل غير محدود

النقد والتأليف

تأليف نجر الحديث وملكه

تأليف أمين الريحاني في ٤٣٢ من قطع الصور حسن الطبع والورق اخرجته المطبعة العلمية ليوسف صادر بيروت ، لبنان

والكتاب يشتمل على نبذات ثلاثة في نواحي نجد ومحمد بن عبد الوهاب والوهابية وآل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . ليس في هذا الكتاب من العربية الا الألفاظ والحروف ، أما المباني والاسلوب والتراكيب فانجليزية صرفة . لذلك استعان الكاتب والطابع بكثير من الاشارات وأصفار الكلام والفصل والوصل على الطرق المعروفة عند الطابعين يستخرج الكلام عربياً بقدر الامكان ، وليغشوا على الاسلوب الانجليزي جهد مستطاعهم ، ليكون قريباً الى العربية بعض التقريب

أما الذوق فهل قريب الفهم لا يستعصى عليك أن تفهم كل العبارات فهماً واضحاً جلياً . ولا تحتاج فيه الى توضيحية شيء من تواصل الفكرة لتقرأ خلال السطور . وهذه ميزة في الكتاب لا أجدها في كثير من الكتب الاخرى . واعلموا نتيجة لاتباعه أسلوب النثر الانجليزي في كتابة العربية ، والحقيقة أن الاساليب العربية المنتقاه يتعذر على الكثيرين في هذا العصر تتبعها تتبعاً تاماً . ولا يضحون بشيء من تتابع الفكرة وتواصل الفهم . اللهم الا الذين استعمقوا في دراسة الأدب العربي ووقفوا على نثر الاساليب التي اتبعها المنشئون الذين اعترف لهم بالتفوق في كتابة النثر العربي .

أما الصور فتكاد تنطق عن الحقيقة كما قامت في ذهن المؤلف . فالأمراء الذين تناولهم المؤلف بالوصف أو رجال تلك الدولات البدوية الصغيرة يكادون يتمثلون لك ذوات قائمة من حولك أو خيالات تتراى لك بين سطور الكتاب من ألفه الى يائه .

في الكتاب فصل عنوانه « ذبحة بن الرشيد » اذا نقانا اليك صورة منه كانت دليلاً واضحاً على صدق ما تذهب اليه . جاء في ص ١٤١ مايلي .

« وصل عبد العزيز بن سعود الى ساحة القتال ، فهجمت رجاله على من تحفر من رجال بن الرشيد ، فتصادم الجيشان وتواقعا تحت جناح الليل في ١٨ صفر (١٤ نيسان) من هذه السنة ، فتقهقر الرشيديون ، فاحتل السعوديون مراكزهم .

وكان عبد العزيز الرشيد راكبا حصانه يدور في معسكر مستنهضا محرضاً . فلما وصل الى المكان الذي كان فيه فرقة من جنوده ، ظن أنها لا تزال هنالك ، فصاح بحامل البندق يحرضه على الهجوم

« من هان يا الفريخ (اسم صاحب البندق) من هان يلفريخ ؟ »
« وأبن الفريخ ؟ قد تقهقر وأسفاه مع المتقهقرين ، فحل محله بندق ابن سعود »

« من هان يا الفريخ ؟ »

« عرف رجال ابن سعود الصوت فصاحوا : ابن الرشيد ! ابن الرشيد ! ثم تكلم الرصاص .

« وطلقت البنادق السعودية على الأمير التائه ، نخر صريعاً وفيه بضع وعشرين رصاصة . »

« وهذا سيفه . وهذا خاتمه . يالامام ؟ ! »

هذه الصورة الساذجة الطبيعية تعطيك فكرة كاملة عن حروب البدو . وعن الحياة الحرة عند العرب . وهي فوق ذلك من الصور التي تبقى قائمة في ذهنك زماناً طويلاً ، بل لا أبالغ اذا قلت بانها صورة لا تمحى أبداً . بل فيها من رنات الحزن الأسى ما يطبع تصورك بطابع قد لا تمحوه الايام . ومن الذي يقرأ « ذبحة بن الرشيد » فارس العرب المقوار وأميرها المتكبر المتعاطم ، ثم ينسى تكلم الرصاص مع الأمير التائه تحت جناح الظلام ؟

وفي الكتاب من الروح التاريخية قسط وافر غير اني لاحظت دائماً أن

الكاتب يبرع دائماً في المواضع التي يترجم فيها عن الرجال اضعاف ما يبرع في المواضع التي يروى فيها الحوادث. فهو ككتاب في التاريخ ينفرد بأنه الاول من نوعه في العصر الحديث ، ولكنه يضعف دائماً كلما استوحى آلهة التاريخ فاتها لا توتية طواعية . أما في الترجمة عن الافراد فهو قطعة من الفن لا يشق لها غبار . أما الصورة التي خلقها الكتاب في ذهني عن الوهابية فلا تخرج عن أن الوهابية مذهب ديني رجع الى الاصل الذي قام عليه الاسلام وأدمج ، الدين في الدولة والدولة في الدين . وعندى أن هذا من أخطر الاشياء التي عرضت لدول الاسلام في كل أدواره التاريخية ولا جرم أنها تكون أشد خطورة اليوم منها في أى زمان آخر

والحقيقة أن الكتاب يساعدنا على فهم شيء من حقيقة الحركة القائمة في شبه جزيرة العرب ، ولكنه لا يساعد العرب مطلقاً على فهم أخطائهم . فن أثر التحيز لابن سعود فيه ظاهر جلي . ولا شبهة في أن هذا من الاسباب الاولى التي جعلت الكتاب مزيجاً من التاريخ والتراجم يساعد غير العرب على فهم العرب ، ولكنه لا يساعد العرب على فهم أنفسهم هذا وجه من أوجه النقص في الكتاب باعتباره كتاباً للتاريخ . قال الاستاذ ماكولى تريقنيليان :

« ان ميزة التاريخ التي لا يذكرها أحد تنحصر في تدريب العقل ليتصل الى درجة يقتدر بها على ادراك المسائل السياسية ادراكاً صحيحاً . ولكن هذه الميزة لا تتناول التنبؤ عن المستقبل . فلا يمكن للتاريخ مثلاً أن يمدنا بمجموعة من السنين العامة يصح تطبيقها في كل عصر ليسترشد بها السياسيون . ولا يستطيع التاريخ أن يظهر لنا من طريق المقارنة التاريخية من المتخصصين كانه من جانب الحق في أية مسألة من المسائل العامة . ولكن ماهية التاريخ تنحصر في شيء أبعد من هذا شأنًا وخطراً . حتى تدريب عقلية الانسان على معالجة المسائل العامة وفهمها ومشاركة بقية الأمم في شعورها . فان المعلومات التي يمدنا بها التاريخ لا قيمة لها في ذاتها ما لم تخلق فينا حالة فكرية جديدة . فان فائدة

ما كتب « ليكن » في تاريخ إيرلندا لا ينحصر في أنه جمع في كتاب واحد تفاصيل المذابح العديدة وحوادث القتل والتفطيع ، بل انه أحدث فينا حساسة بالعطف ، والشعور بالخجل ، وساعد على ادراك الحقيقة التي تقضى بان ذنوب الآباء تتعدى الى الابناء والى الاجيال التي تشب على الكراهية (إشارة للحكمة المعروفة في التوراة) فهو لم يبرهن على منح الحكم الذاتي لإيرلندا من حيث هو خطأ أو صواب ، بل درب عقول انصار الاتحاد مع إنجلترا ، وأنصار الحكم الذاتي لإيرلندا ، على ادراك المسألة الأيرلاندية وغيرها في المسائل أدراكاً صحيحاً »

ولامرية في أننا اذ أردنا أن نطبق فكرة تريفلان على هذا الكتاب خرجنا منه وماؤنا اعتقاد ثابت بأنه ليس من التاريخ الحديث في قليل ولا كثير . ولكن للاستاذ الريحاني عذره فهو مؤرخ البلاط السعدي كما يقول في أول الكتاب . وقلمنا يكون مؤرخو الأباطة المالكية مؤرخون . فهم مدونون للحوادث بما يقرب من الحقيقة إذا كانوا منصفين ، ومداحون مفرقون في المدح إذا قلت فيهم حساسة الانصاف وحب العدل ، حتى في رواية الحوادث

بجزء الافراح

في مناجاة الارواح

المرحوم الدكتور ابراهيم عريلى

إن أول ما يخطر ببالك وأنت تتصفح هذا الكتاب هو السؤال عما اذا كان الدكتور منح هذا اللقب في الفلسفة أم اللاهوت أم الطب . ففيه روح التبشير بوجوب الايمان . وفيه كلام طيب عن الجاذبية والنمو ، وكذلك نجد له جمالا فيها فلسفة أو أدب ، وعلى كل انك لو أخذت جمل الكتاب مفردة لوجدت فيها مادة تحتاج الى تنظيم الامر الذي لم يحسنه المؤلف . وأظن السبب هو محبة الموضوع بحماس وايمان جعلاه يستنجد بالاثباتات الموافقة منها والغير موافق لمجرى الكلام فليست ترى مثلاً في « مناجاة الارواح لا تجعل الانسان كامل الصفات ، فإن الله وحده هو الكامل فقط . ولا تجعل الانسان مساوياً للملائكة إنما تساعده على

أن يعيش عيشة صالحة روحية فتحسن صفاته ويستطيع أن يعرف الأمور معرفة حقيقية فيرتقى بأفكاره . وتساعده على أن يشعر بنبأ نفسه ويغلب شهواته الجسدية ويسير في سبيل التقدم والارتقاء»

«ان التقدم الذي ناله الانسان لم يكن دائما الى الامام لان العالم كثير ما يتوقف في عدة أدوار من أدواره عن الصعود في سلم الرقى فيبقى خاملا متأخراً جامدا الحركة جاهلا . وقد عرف الروحانيون ذوو الاجساد البشرية انهم لا يضحون الذين هم في عالم الارواح مرتبة ولا مقاماً . فلا يجهلون حقيقة الاختبارات الارضية التي تجعل حياة الانسان وارتقائه مضاعفة الصعوبة . وعليه تكون مكافأته عن امنه في الطبيعة في الحياة الروحية عظيمة جدا مثلاً لما سبق وقلته لك اعلاه » ولا يظن القارئ أن هذه جمل مقتطعة من هنا وهناك مجموعة بين قوسين ، فهي مأخوذة على علاتها دون زيادة أو حذف

هذا هو مثل لما ذكر في متن الكتاب حتى منتصفه . أما النصف الثاني فعباره عن خطابات الارواح لأهل الارض وغير ذلك مما يقرب الى روايات الجن والعفاريت من البحث العلمي .

وحقيقة قد أكون متعاملا على ما يسمونه علم مناجاة الارواح . ولكني اجتهدت هذه المرة أن أفهم لا قوم بواجبي نحو القراء فوجدت أنه يجب على « أن أكون مؤمناً أولاً ثم بعد ذلك اقتنع بصحة ما آمنت به » وهذا ما لست مستعداً أن أعمله فأقدم للقارئ عذري لأنني لم أشرف بعد بمعرفة الارواح والعفاريت

بين المذموم والحذر

للآنسة مى

ليتني تشرفت بتقريظ الطبعة الاولى من ابتسامات ودموع من التي نقلتها عن ما كس مولر . حتى كنت اعطى بالتقريظ قطعة من قلبي كما يقول الافرنج . فان في الطبعة الاولى من الابتسامات والدموع سرّاً لا أعرف كيف أدرسه ، وفيها جاذبية ما زالت أحسن اليها حتى اليوم اثبتت أنامل مى الالهام الذي أملاه

عليها . ولم تندفع بالشباب بل بجرأة الفتوة ، ومن العجيب أن تجد في تلك الطبعة الأولى أنرا لما يسمونها (الخدشة الكاذبة) فهي صورة طبيعية رسمتها دقات قلبها . وكما أن لم الطبعة الأولى من الابتسامات والدموع كذلك لها ترانيم شعرية كانت تطبعها في ذلك الوقت الذي كانت تضرب فيه على قيثارتها تلك الاغاني الخفيفة الروح المساية الجذابة

ولكن الزمن أبى الا أن يزيل تلك البهجة وأن يطمس ذلك الزويق ، فطبعت ماري زيادة الابتسامات والدموع طبعة ثانية . وأذكر تماماً أن صديقاً لي ، رغبة في الانتقام مني ، فاجأني ذات مرة قائلاً : « لك أقدم أيها الصديق نسخة مطبوعة من الابتسامات والدموع . حتى لاتضن بالنسخة الخطية التي تحوزها على أصدقائك » وحقيقة لدى نسخة خطية من الطبعة الأولى طلب مني صديقي المذنب ذات مرة أن أعيرها له كي يقرأها فاسترطت عليه أن يفعل ذلك أمامي وذلك خوفاً عليها من الضياع . فجلس يقرأها كارها وانتظرت بدوري صابراً متمللاً فتحت غلاف الطبعة الثانية . وأخذت أقلب الصفحات واحدة بعد الأخرى وعلا ثم لهم ترسم على جبيني ، ثم رددت اليه الكتاب بألم ظاهر قائلاً « لا يا صديقي » فهذه الطبعة ليست لي بل هي لخمزة فتوح الله وجبر ضووط » أين تلك الطلاوة التي أتذوقها من كناشتي ؟ انها ذهبت فاطارتها محاولة حسن السبك . وأين تلك البساطة التي تستهويني وأنا أقرأ كناشتي ؟ أودى بها التعتيد المفتعل . وهكذا سلمته كتابه ورجعت كما أرجع بين وقت وآخر لكناشتي العزيزة فأقرأ منها الطبعة الأولى لابتسامات « مي » ودموعها ، وذلك منذ عشر سنوات الى الآن

وكنت أتصفح بعد ذلك ما كانت تدبجه « مي » من المقالات وكنت أسمع طنطنة حول اسمها ، فأقدم على القراءة بشغف لأحدله ، ولكني لا ألث حتى ألقى جانباً سائماً تلك الالفاظ الجوفاء والكلام المربصوص . واليوم عدت فوجدتني عنوان كتابتها « بين المد والجزر » وهو عنوان شعري فانتبذت ناحية هادئة على أمل التفرغ بمشاعري له عساي أجده فيه ما أجده من ابتسامات (كناشتي) ودموعها . ولكني وجدت ذلك العنوان الجميل بعيداً كل البعد عن

مواضيع الانشاء المطبوعة على صفحات الكتاب . فكأن مارى زيادة أرادت
أن تملأ فراغاً ، ولا أجسر على القول بأنها أقامت بعمل الى قصد توان الأجر .
وكم أنا آسف للدرك الذى أخذت تنحدر اليه الآنسة فان كتاباتها لم تعد تحوى
مادة شعرية ولا روحاً خفيفة كما كان عهدها في الزمن الغابر

أى آنسى ، أن روحك اللطيفة قد صبت على أن تكون شعرية خيالية ، فلها
جاذبية ولها حنين . فمالك ومال المواضيع الجافة الجبارة التى لا تحتاج الى رقة
ولا الى عواطف ، بل فقط الى عقول وشعور جبارة أيضاً . انه من العبث
أن تحاولي تساق صخور المعرفة المدببة القاطعة بيديك الرقيقتين الناعمتين . فإن
ترانيمك التى تبدئين جهادك الشافي بها لا تلبث حتى تنقلب حشرة تملأ القلوب
أسى . فبربك ارجعى عن ركوب ذلك المركب الخشن ، بربك ارجعى : —

أى آنسى . لديك مجال للعمل فى الوادى أشجاره ، وفيه ينابيع وعيون
فاجلى قيثارتك ، وترنمى عليها ماشئت فانك بعملك هذا تخففين مصاعب الذين
قدر عليهم تساق جبال البحث الوعرة المسالك . أجل . ترنمى وانشدى دون أن
تعتقدى بأن عملك لا قيمة له فانه مسل وانه مخفف لشقاء الذين يعملون أولاً عملية
شاقة ثملة .

ان القلم والمعرفة ليسا محتاجين الى الرقة . والتغريد لا يصيرهما جذابان ، بل
بالعكس ، يعرفهما بصورة مؤلمة مضحكة سمجة للانظار

تقبلى سـيـدتى الآنسة تحيات أحد المغرمين بابتساماتك ودموعك الاولى
... أجل ، الاولى فقط ، فقد نقلتها يدي هذه من نسخة مطبوعة حرفاً بحرف
ولم أندم على الوقت الذى أضعته فى النقل

ع . ع

كل ذلك رغبة فى أن امتلاك نسخة منها

التعريف

بالنبي والقرآن الشريف

للسيد محمد على البيلاوى .

كتيب صغير حسن الطبع ورقة مصقول نظنه لأول وهلة كتب للسنة

الأولى الابتدائية . ولكنك تراه قد ختم بمواضيع تحتاج الى سابق درس في المعاهد الدينية . اختص المؤلف النصف منه بالتعريف بالنبي محمد بن عبد الله ولولا التكرار الذي لا لزوم له ، ولولا استنتاجات غير منطقية مثل « كان على مابه من اليتيم وقلة المال يشب على غير مايعهد فيمن اتصف بهذين الوصفين فقد كان ينمو بدناً وقوة وعقلاً وأدباً حتى عرف بين أهل مكة في ريعان شبابه بالأمين » فهل من مستلزمات اليتيم وقلة المال امتناع النمو بدناً وقوة وعقلاً وأدباً ؟ بل هل الأمين هو القوي العاقل الأديب والنامي الجسم ؟

اليك مثل آخر قال : « أدبه الله تعالى أدباً » الى أن قال : « ولم يكن له أستاذ بهذا . ولا مثقف يؤدبه . وإنما هي عناية الله تحفظه » والى هنا لا اعتراض الا أنه قال بعد « أدبه الله تعالى أدباً » « لم تجر العادة بأن تزين به نفوس اليتامى الذين قل ما لهم » فما العلاقة بين أن الله اصطفى انساناً وبين الحشو والغريب وهو الإشارة الى الفقر واليتيم . وهل يحرم اليتيم من تأديب الله له ، من هذا يتجلى له طلع أن مؤلف الكتاب يحاول أن يفهم الناس بأن اليتيم وقلة المال حادثان يتفان في طريق الأمانة والتأدب . وهذا قول غريب كرره تكريراً مملاً ظاناً انه معجزة لا تقدر .

وكذلك أغفل الشرح تماماً في أكثر موقف مثل « ثم لقطعنا منه الوتين » ولم يفسر بعض الجمل تفسيراً حسناً فنقل مثلاً قول خديجة وهي تبشر زوجها أذ قص عاينها ما رآه في غار حراء « انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » وقد فسر نوائب بالنوازل والحوادث . كما فسر الحق بقضاء الله وقدره فليس من المنتظر أن يفهم المبتدئ من هذا التفسير أنها تخبره بأنه سيساعد الناس للتخلص من النوازل التي قدرها الله عليهم ؟

ولمناسبة ذكر خديجة ، هل لي أن أسائل قساوسة المسلمين عن كل السبب ولا يزال في حرمان المرأة المسامة من حق خطبة الرجل لنفسها ؟

انتقل الى التعبير ، فهل من حسن التعبير أن يقول رجل مسلم أنت النبي « أصيب بمصاب عظيم » هو موت عمه أبي طالب ، وزوجه خديجة ، وكذلك هل

يصح أن يقال عنه أنه كان يطلب من الحجاج أن « يمنعوا عنه أذى قومه فلا يستجيبون له » كأن النبي ما كان يشعر بأن الله هو حافظه والقادر على منع الأذى عنه ؟ وكيف يمكن للتقاريء الذي يحارل السيد أن يعرفه بنسب النبي وما شابه ذلك مما هو معلوم لأطفال الكتاتيب تفهم ما يأتي « ولما أصابه من قریش ما أصابه يوم أحد شق ذلك على أصحابه » فما الذي أصابه يوم أحد ؟ هل تظن من شخص تحاول أن تعلمه ما يكاد أن يجد من المفهومات أن يفهم لنفسه يوم أحد يتكلم عنه .

أسمعه يقول تحت كرمه عليه السلام « كان لا يبارى جوداً وسخاءً وصمحة نفساً وصفه بذلك كل من عرفه وكانت حاله في ذلك قبل النبوة كما كانت بعدها فقد قالت له خديجة حين رجع إليها يرجف « كلا ما يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق » أليس أول ما يتبادر إلى ذهنك عند ما قرأت « قالت خديجة » أنها ستقول ما ثبت كرمه فتذكر حادثاً وقع ؟ فما علاقة وصف تفسيرها لحلم هنا باثبات الكرم .

اسمع : « روى أنه حمل إليه تسعون ألف درهم فقام إليها يتقسمها فمأرد سائلاً حتى فرغ منها » لنفترض أن رجلاً سأله التسعون ألفاً فهل كان لا يردده ؟ لنفترض أن الأغنياء سألوه قبل الفقراء فهل كان لا يرددهم ، أليس هذا نوع من الحشود المشهود به للأزهريين .

قال : « وقد نماه إلى أصحابه أبو بكر وقال لهم وهم مجتمعون وقد ملكتهم الدهشة » أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات » فهل ترضى ذمة المؤلف بالتبويه الذي ارتكبه باخفاء اسم من قال الجملة المنتهية « علوته بسيفي هذا » هكذا تكون الأمانة في التاريخ والأفلا .

وصف المؤلف رؤساء الأديان الكتابية ص ٣٤ بأنهم « حظروا على من سواهم النظر في نص من نصوص الدين وتفهم الغرض منه فغطوا العقل وأطفأوا نور الكفر » ولو كنت هواويني لكتبت هذه الحكمة بماء التبر على آفاق مهج علماءنا الإعلام نفعا الله بهم في الدارين .

لولا هذه الاخطاء وهي عديدة لصلح الجزء الاول من كتابه للامانة السنة الاولى الابتدائية. وأما الجزء الاخير فغايب في موضوعه كأنه جاهود صخر حطه السيل من جبل قاف .

وقد فتح السيد بيني وبينه أبواباً للنضال فمثلاً يقول وقوله الحق « ان النبي جعل رسالته الى الناس عامة » ويقول « ويجب على كل من بلغته الدعوة الى هذا الدين أن يؤمن به » ويقول « ان محمداً أرسل الى جميع الناس عربهم وعجمهم » فكيف يوفق بين هذه الحقيقة وبين تحريم ترجمة القرآن حتى يمكن للمعجم أن يفهموه ؟ فهل نجبرهم على تعلم العربية أولاً حتى يفهمونه ؟ أم نريهم فضائله لكي ينجدوا نحوه فيقبلون عليه وبعد ذلك يؤمنون .

كذلك نقل السيد عن تيلر المبشر الانكليزي ودعاه منصفاً « اننا نرى الاسلام أوفق ما يكون لتهديب الأمم المتوحشة وترقيتها . » ولم يفهم السيد أن المقصود بهذا الخط من مبادئ الاسلام واتهامه بأنه يدعو الى تعاليم بدائية يسهل على عقل المستوحش استساغتها بعكس المسيحية فلا تفهما الا عقول راقية المستوى .

كذلك جرتى السيد الى ساحة جدال أخرى يدور النضال فيها حول فكرة اعجاز القرآن . وبالرغم من اتفاق كل أو أغلب الأئمة على أن الاعجاز يدور حول البلاغة والفصاحة. أعترض بكل احترام قائلاً: أن التسليم بأن بلاغة وفصاحة القرآن ليسا ببرهان مقنع للفرنسي على تنزيهه . كما وان بلاغة وفصاحة أحسن ما كتب باللغة الانكليزية لا تبرهن الا أن المؤلف كان يتقن اللغة أكثر من غيره قليلاً أو كثيراً . فاعجاز القرآن ليس في المبني بل هو في المعنى لما في حكمه وفي مواعظه وفي ارشاداته من تفوق .

أما بقية الكتاب فتبحث فيما يسمونه السبعة أحرف وهو بحث ممل يكاد يملأ الثلث الأخير من الكتاب .

وكم كان بؤس لو قصر السيد كتابه على السيرة النبوية وألم بأطرافها . فمثلاً كان الواجب عليه أن يذكر بتوسع قصة :

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تندسج ولم تحم
كذلك غاب عنه شرح كيفية استقبال أهل المدينة للنبي وفي مقدمتهم بنات
النجار ينشدن مرحبات به

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
فهذا وأمثاله من الأفاضة في ذكر معجزاته كتظليل السحاب له واخضرار
ما تحت موطن قدمه، وانتقال إيوان كسرى مما يرغب الأطفال في التهافت على
درس كتابه القيم :

العقل الباطن

أسلامه موسى

زج بي صاحب العصور في أخرج مركز بتصميمه على وجوب نقد هذا
الكتاب الصعب العويص بقلمى أنا دون غيرى . ولم تفد تضرعانى ولا التماساتى
في تحويل رأيه الظالم هذا ولا أكرم القارىء حقيقة هي أننى لم (أدرس) علم
النفس الا سنتين فقط تحت ارشاد استاذ كن يخاف أن يكتب مذكرات في
الموضوع بحجة أنه لم يدرس هذا العلم تماماً . ذلك بالرغم من أنه قضى ست سنوات
في تدريسه علم النفس لمن سبقنا من الفصول . وكان هذا الاستاذ من حاملى لقب
الدكتوراه في الفلسفة .

فليس أمانى والحالة هذه الا الرضوخ ومحاولة القيام بالواجب الملقى على
عاتقى على أحسن حال .

الاستاذ الكبير سلامه موسى أشهر من أن يعرف . فهو عالم فيلسوف وأديب
مبتكر . ويمكن لكل قارئيه معرفة ذلك من اتصفح آثاره التى يضرب فيها مختلف
العلوم العويصة بسهم صائب فمن حياتولوجيا الى اجتماعولوجيا الى اجنتولوجيا الى
حيوانولوجيا الى نباتونى الى تشريحوتومى (علوم الحياة والاجتماع والاجنة والحيوان
والنبات والتشريح) الى غير ذلك من العلوم التى لم تمر بى أسمائها ولو عرضنا تلك
التى يقتضى للعالم الغربى في بحث أحدها عدة سنين قبل أن يجزأ على كتابة فصل
وحد يس به الموضوع مساً سطحياً .

ولكن لاستاذنا الفاضل ذكاء يهزأ بالصعاب وبالغموض . وله عقل جبار
يسهل عليه مهمة الفهم . لذلك تراه يثب بين أفنان العلوم مثل الطير فيسمعنا
من وقت لآخر تغاريد عامية تسمجر الأبواب .

ألف الاستاذ كتاب (العقل الباطن) بعد أن «قرأ» نحو عشرين كتاباً في هذا
الموضوع، فإذا أمضى ثلاثة أشهر في قراءة كل كتاب، فيكون قد قضى نحو خمس سنين
في مطالعة العشرين كتاباً . وبالطبع يجب على من يقرأ هذه الكمية من الكتب
عن العقل الباطن، أن يقرأ أيضاً كمية أكثر عن موضوع علم النفس وعن
تشریح المنح ليلم بأساس الموضوع. وهذا عمل جليل نشكر الاستاذ عليه. فإن
قضاءه لعشر سنين على الأقل في الدرس قبل أن ابتداء يؤلف كتابه، أمر يقابل
بالشكر والامتنان، والذي يزيد الاستاذ فخراً أنه أتخف العالم العربي بكتب قيمة
في مواضيع عويصة أخرى فإذا كان ينفق عشر سنوات على القراءة في كل من المواضيع
التي يكتب فيها يكون له من الجلد على المطالعة ما لا يصح السكوت عنه . وبالرغم من
أننى أجهدت نفسي كثيراً لفهم (العقل الباطن) مستعيناً تارة بالقهوة السادة
وتارة أخرى بالدوش البارد . عجزت عن ذلك ولم أتمكن من ربط محتويات الكتاب
بما علق بذهنى من قراءة مبادئ علم النفس لوليم جيمس على الأقل . وانى أعترف
أن الذنب ليس بذنب الاستاذ بل ضعف معلوماتى هي المسئولة عن اخفاقى الخرزى
ولو كان المؤلف الفاضل قد ترجم لنا مؤلفاً الى العربية عن (ديغوز) مثلاً لا مكن أياً
كان الرجوع الى الاصل الاجنبى لتفهم ما يعلق عليه فهمه من الترجمة .

أو لو كان الاستاذ قد كتب مؤلفه بلغة أجنبية لاستفاد منه مكدوجال وفرود
وجيمس وغيرهم . ولأمكنهم اعطاءه حقه من النقد . فنحن أمة لم تصل معلوماتها
بعد، الى تفهم نتائج قرائح العلماء الاعلام .

ولكن مادام الاستاذ قد عمل بحسن نية على طبع مؤلفه الكثير الفائدة
باللغة العربية، فلا أرى بداً من حث إدارة الجامعة المصرية وغيرها من الجامعات
لتقرر بكتاب القرن العشرين لطالبة التخصص في كليات الطب والعلوم العقلية

لأن من الحسارة أن يلقى الاستاذ درره الغوالى على قارعة الطريق ظنا منه بأننا نحن الجهة قادرون على فهمها ومادتها عويصة .

وكنت أود الوقوف هناك . ولكنى ارتأيت أن أنقل للقارئ الفاضل شيئا من درر هذا المؤلف العظيم الفائدة قال حفظه الله في باب تفسير الاحلام .

« رأيتنى في طيارة عمومية تسوقها امرأة وفيها امرأة أخرى تقتضى من اركب ثمن التذاكر وتعطيها اياهم والطيارة مستطيلة وفيها مقاعد على الجانبين فلما قعدت لاحظت أن أحد الداخلين يحمل مجلة « » في يده . ثم طارت الطيارة، وكانت الطيارة ترتفع كأنها في خط عمودى، فدب في قلبى الخوف وأمسكت بمسند المقعد الذى أمامى ووضعت رأسى بين يدي وأنا خائف . ثم صحت بصوت مرتعش وأنا لأرفع رأسى من الخوف أنزلوا بى .

« وكان الذى فى خلفى وهو الذى يحمل مجلة « » يضحك منى ضحكا خافتا ، وسمعتنى السيدة التى تجمع التذاكر فقالت للسيدة التى تسوق السيارة يقول أنزلوا بى . »

وأدرك شهر زاد الصباح . قال الاستاذ :

« وهذا الحلم يحتاج الى شرح طويل . ويحتاج الى أن أكشف القارى عن نفسى . فأننى أحرر مجلة « » وأنى بعض النهاية بالمقالة الافتتاحية، فأحاول أن أسمو فيها الى الافكار والخواطر العالية . وكثيرا ما ذكرت فيها التقدم مقربا الى فكرة تقدم المرأة وسياقتها للطائرات وادارتها للاعمال الكبيرة . وكثيرا أيضا ما ذكرت فيها الطيران وانه رمز للحضارة الراقية . ففكرت فكرة الرقى والتقدم فى عقلى الباطن بفكرة الطيران وتقدم المرأة .

« هذا من جهة . ومن جهة أخرى قام فى نفسى صراع بشأن تحرير المجلة فنفسى تسمو الى أن أجعلها مجلة علمية جدية . وهذا فى نظرى معنى الرقى . ولكنى فى اليوم الذى حلمت فى مسائه هذا الحلم، كنت أجادل أحد الصحفيين بشأن المجلات وما يجب أن تكون . لىكي تروج فاضطرت، الى الاذعان لرأيه، وهو أن المجلة الجدية العلمية لا تروج ، وأن الجمهور يحتاج الى مادة خفيفة .

« ومع اذعاني فقد كن في نفسي صراع بين شيئين :

١ - أن تكون المجلة علمية جديده رقية والـ كن قليلة الربح .

٢ - أن تكون خفيفة المادة على قدر الجمهور والـ كن كثيرة الربح .

« فجاء - ثقل الباطن يمثل لي هذا الصراع في تلك الليلة . فجعل الطيارة

والمرأة تسوقها رمياً للرقى . ثم جعلني لأطيق هذا الرقى . وجاء بواحد من خلفي

يحمل مجلة « ... » ويضحك مني . والرقى المعنوي الذي اقصد به جعله ثقل الباطن

رقياً محسوساً بارتفاع الطيارة كما يفهم الطفل معنى الرقى »

انتهى . صورة طبق الاصل ر

ولست أدري كيف يمكن أن يكون تفسير الاستاذ لهذا الحلم وهو في اليقظة

هو نفس مقام في عقله الباطن وهو في النوم ؟ أليس من الجائز أن يكون عقله

الباطن قد رمى الى شيء غير هذا ؟ لاسيما وأن مثل هذا الحلم يمكن تفسيره بكثير

من التفسيرات التي لا يمكن أن يجادل فيها مادامت هي داخلة في باب التأويل .

وهل يمكن أن تكون مثل هذه التفسيرات مادة علمية صحيحة ؟

أظن أن ذلك غير مستطاع علمياً . فإن ظاهرة الأحلام وحدها هي التي

يمكن أن تتخذ مادة للبحث في علم النفس ، لا تفسير الأحلام على قاعدة لاضابط

لها ولا نظام .

السياسى الدولى

أو الدبلوماسية

بقلم جول كامبون

من الاكاديمية الفرنسية

الدبلوماسية

ما أكثر نواحي العمل الذى يتولاه السياسى الدولى . وما أقل القواعد الصريحة التى يدبر عليها . وما أكثر التقاليد التى يخضع لها . وما أشد حاجته الى الحرص والدأب فيما يريد ، من النجاح الذى يتوقف على الظروف . وما أشد اضطرابه الى التزام النظام الذى لا يكون بلا خلق متين وعقل مستقل . لكل أمة أخلاقها وعاداتها وأسااليبها . لا يتجرد السفراء منها لمقامهم بين أمة أجنبية . ولا كنهم بحكم مهمتهم التى تحتم عليهم خدمة بلادهم ، وعدم إثارة ضغن بين معاشرهم مضطرون للملاءمة البلاد التى يعيشون فيها . رأى « لابرور » الذى كان يعيب على السياسى نائره بالزمان والمكان وأخلاق الرجال . مهمة السياسى هى « ألا يخدع وأن يخدع سواه » ولكن لا روشفو كول . وهو أعرف منه بدخائل السياسى . كان يقول « ليس أيسر من الخداع الانسان عند ما يحاول خدع الآخرين » على أن اعتبار الزمان والمكان وأخلاق الرجال ليست من الغباوة فى شىء . وكذلك ليس من الخداع فى شىء أن تدرف الحرص والانتظار . والفارق بين السياسى وجهور الناس انه يعيش غريبا عن أهوائه الشخصية شديد الصون لاسرار والشرب فى ذلك مختلفة . منها ما يجب من السياسى الصراحة ، ومنها ما يجب منه الغموض والكتمان والظهور بغير ما يريد ان يتوهم الناس أن السياسة دسيسة ، ومن لا يعرف الدسيسة من السياسيين متهم بالتفرغ للهو والفلاذ . ومنهم من يحسب دور السياسة مسارح تجرى فيها الحوادث بتدبير سابق . وأقدر الساسة عندهم من كان ما كيا فى الطبع يحكم تدبير التنكائية ، ناسين أن ريشايو و بترمرك انفسهما لم يمدكا ناحية الحوادث ، التى تجرى على

ما يريدون وعلى عكس ما يريدون. والقول في ذلك ماقاله فردريك الثاني « ليس فن السياسة اختلاق الحوادث بل الاستفادة منها . »

والفارق بين السفيرين ووزير الخارجية أن هذا يجمع آراء ومعلومات سفرائه يوازن بينها ويرتب عليها مصلحة بلاده . على أنه يعيش في بلاده ، أما الآخر فهو يخالط أمة غريبة يتعرف أخلاقها وعاداتها وميولها وقدرتها ومهمته أن ينقل ما يرى وما يعلم إلى الوزير لا يتعدى حقوق منصبه . ولكنه لا يكون أشبه شيء بصندوق البريد فله رأيه وله أن يبدى للوزير . والا كئن خطراً على بلاده . وعليه ترى مهمة السفير أن يكتسب بصدقه ثقة الحكومة المعين لديها وثقة حكومته . قل ما كيا في الذي لا يعرف الناس حقيقة قدره لسفير فلورنسا لدى شارل دانت « على السفير أن يجهد نفسه ليرى الناس أنه رجل لا يظهر غير ما يبطن » . ومن هنا ترى أن الصفة اللازمة للسفير ليست الخداع . إنما هي المهارة الخفية . وقد عرفها شوازل بقوله هي أن تقول الحقيقة أحياناً في شدة . ودائماً في لطف ، ومعنى ذلك أنه يتعين على السفير لاداء مهمته ألا ينضب أحداً وأن تكون له منزلة في كل ناد من نوادي الأمة التي يعيش بين أهلها

والتعرف بأمة معناه النفوذ إلى روحها والعيش في جو أفكارها وفهم المصلحة بين سياستها الخارجية وحالاتها الداخلية . ولا يصل السفير إلى ذلك بمحادثة الوزراء ورجال السياسة ، فقد يعلم حديث طائش ما لا يعلم من مناقشة جدية ، ولا يدل على حقيقة الحال ومواقف الأحزاب أكثر من النوادي ، وقد يفيد من سيدة كبيرة ما لا يفيد من سياسي خبير

وأشد ما يجب أن يحذر السفير هو الاستهتار ، وكفى أن يعرف عنه ذلك حتى تنجبه الأذواق وتذكره النفوس وينظر إليه بالارعاية ولا احترام . دلي أن شدة الحرص والتزام الجسد ، العيوس تدعو إلى النفور والحذر ، وقد تقضى على الثقة ، فلم يكن أحد أصرح من تاليران والبرنس بزمارة في أحاديثهما الخصوصية . كذلك من يكثر الهشاشة ويفرط في التحجب والتقرب يحسب أن ذلك يكسبه الثقة والمحبة ، على أنه بتفريطه هذا قد يفشى من الأسرار ما لا يجوز افشاؤه .

ليست السياسة الخارجية مسألة عواطف، إنما هي إخضاع الحوادث العارضة للقوانين الدائمة التي تتحكم في مصير الأمم . وهذه القوانين موجودة . وليس حكمها في يدنا، ومصالح الشعوب لا تتغير، الطبيعة والموقع الجغرافي والاخلاق هي التي تقررهما .

ومهما اختلفت سياسة البلاد الداخلية لا بد أن تبقى سياستها الخارجية على حكمها التقليدي لا يغير منها شيء إلا إذا اقتضته ضرورة جديدة، كأن تنشأ الرغبة في الاستعمار، فيقتضى ذلك إنشاء الأساطيل . وهذا يوجب النظر فيما يجيد من العلاقات بينها وبين الدول البحرية، ومبلغ ما يكون لهذه العلاقات من الأثر . كما كانت الحال بين ألمانيا وإنجلترا حين قال غليوم . إن مستقبل ألمانيا فوق البحار، وجد في إنشاء المدرعات فأحدثت هذه الحالة الجديدة أثرها في الحرب الكبرى .

يجب ألا يهني السياسي بشيء سوى النجاح وألا يثير حول نجاحه ضجة، لأن انتظار كل الخطار في استنفاز أنانية الخصم . على أن النجاح لا يدوم إلا إذا كان باتفاق الجانبين فيجب أن يتواري السفير ليرضى الحكومة التي يعمل لديها وحكومتها .

ليس هذا فقط، بل عليه أيضاً أن يكون أملك لنفسه ولسانه من أي كان حتى لا يكشف خصمه عن مآلاته وأنجب ما يعجب له الجمهور اليوم . هو ما يراه من الائتلاف والتقرب بين السفراء . كأنهم يعيشون أصدقاء

المفاوضات

كان بيورك يقول « إن الحكم اعتداء » فليسفير، علق بالوزير، والمفاوضة تفاهم واتفاق . والسياسة الدولية لا تعتمد على القانون وصرامته، بل تنظر إلى الوقائع والرأي العام، وتنحني أمام الضرورة . وتخشى النتائج العاجلة والآجلة، وتحتمل خطأ لتجتنب ضرراً، وهذا يبعد بالمفاوضة عن الأخذ بالخصوص . ودوماً قيل عن القانون الدولي فإنه لا يزال بعيداً عن القوانين المدنية الداخلية، لأن أيديته المعاهدات

وهيئات التحكيم المتفق عليها . ومحكمة لاهاي ، فليس له من قوة تكفل تنفيذه .
لذلك تلجأ الأمم إلى السيف وجهود السياسة اجتناب هذا الحكم .

من الاوهام الشائعة في الدوائر السياسية أنه لا حق لأمة سوى ما نصت عنه
معاهدة ، ولكن الشعوب أشخاص أدبية لها حياتها ، قد تنحى دولة من خريطة
أوروبا ولكنها تبقى حية ، مثال ذلك إيطاليا وبولونيا ، فلهيئات التحقيق من نظر
إلى ذلك وأفسح صدره رحباً في مفاوضاته ولقد رأينا بعض المفاوضين يسمو إلى
التفكير في مصلحة أوروبا عامة لا اعتقادهم أن سعادة دولية جزء من سعادة
المجموع الأوروبي . يغيبون اليوم ما كان معروفاً بسياسة التوازن ، على أن جمعية
الأمم ليست سوى أداة لهذا التوازن ، ليس السفير حكماً ، ولكنه مضطراً إلى احترام
عواطف البلاد التي يفوضها . ليحتمل مسؤولية ما يعقد من الاتفاقات

ولكن هذه الاتفاقات تذهب أحياناً بكثير أو قليل من الآمال فيحتم عن
ذلك غضب الشعب على المفاوضين . وقال لارشفوكول ، أن الذي يسيئنا من
المفاوضين هو اهتمامهم بمصلحة أصحابهم في سبيل مصلحة المفاوضة ذاتها التي تصبح
مصلحة المفاوضين أنفسهم بما يكسبوا من المجد بنجاحهم ، وأراى عندى أن
السياسى الحكيم ، هو الذى لا يلتفت كثيراً على تهليل الجمهور بل هو الذى يتذرع
بالصبر والحذر يعمل بذوقه السليم وعقله الحر

ليس المقصد من رجل حرم الذوق السليم . على أن حرية العقل وإصالة الراى
الزام ما يحتاج إليه السياسى يتبين بها متناصد خصمه ومرايه ، ويسير على صوءها
إلى حقيقة ما يقصد إليه

القدرة على انتظار الغرض لا تقل عن هذه لزوماً . وقد تهب الرياح على غير
ما يشتمى ، فلا بد من اللب والدوران للدخول إلى الميناء بلا مبالاة بما يقوله من
لا خبرة لهم .

وأخيراً لابد للمفاوضين من كتمان سره رعاية لرئيسه الوزير ولتقاع من يفوضه
لا تخرج المفاوضة عن حديث لا يجوز إفشاءه لأن إفشاء ما يقع اثناءه من تردد وتقلب
وتراجع وعرض ورفض يقطع على المفاوض خط الرجعة ، ويعرض المفاوضة للفشل

لقد كره الناس اليوم المفاوضات السرية تساعدهم الصحف على المطالبة بمعرفة تفاصيلها . وأصبحت الحكومات مقيدة . إلا أنها لا تجدد مندوحة عن كتابتها .
والحقيقة أن المفاوضات ترجع في البلاد الحرة الى برلماناتها . فلا تعقد معاهدة إلا بعد تصديقها عليها . فإذا كانت المفاوضات سرية فإنها متى أفرغت في قالب عهد واتفاق ذهبت سريتها . على أن طبائع الناس لا تزال كما هي منهم الدسائس الذين يتربصون بالمفاوضين الدوائر يكيدون لهم ويفشون ما يعدون عن أحاديثهم فيسيئون الى مصلحة البلاد التي يدعون خدمتها . فمن خبر خدمة وطنه في بلاد أجنبية علم أنه متى بطلت المفاوضات السرية بطلت المفاوضات جملتها ، والحال في السياسة مثلها في الآلات الميكانيكية لا تقدر قوتها الدافعة بلا تقدر قوة المقاومة . قال بزمارك ، إذا أردت أن تشتري حصانا فانك لا تعلن بين الملاء أغلى ثمن تدفعه وإذا أردت أن تبيع حصانك لا تعلن أقل ثمن تطلبه . فلا بد للسياسة من اتباع هذه الحكمة الاولى .

يتوهم البعض أن السفير متى قدم أوراق اعتماده صار في وسعه أن يبدأ البحث في جميع ما يهم حكومة بلاده . على أن أوراق الاعتماد ليست سوى تعارف يتحول له حق الكلام باسم حكومته . ولا يستطيع البت في شأن بلا إن خاص من رئيسه لذلك يذكرون في مقدمة كل اتفاق أن أوراق الاعتماد والتصريح فحست ووجدت صحيحة . على أنه قد يكون للسفير شخصية معينة على اكتساب الثقة ، كما حدث في حرب الولايات المتحدة واسبانيا . وكنت سفير فرنسا في واشنطن فمهدت الى اسبانيا بالنيابة عنها في عقد الصلح ، وكان لي الشرف أن وثق للرئيس الجمهورية الامريكية المستر ماك كفلي بكلمتي . فأوقف رجلي الحرب قبل وصول التفويض الى من مدريد بالتوقيع على الاتفاق .

السفراء والسياسيون

ان رجال السياسة الذين تقضى عليهم صناعتهم كتمان ما يعملون محررون بذلك وحده مما يخص به المؤرخون رجال الحرب من الاطراء . فكم خدمة صادقة وعمل نافع أدى أولئك لبلادهم . ولكن تلك الخدمات والاعمال بقيت سرا

مكتوماً لا يعرف الناس عنها كثيراً ولا قليلاً. وإذا مضى الزمن واهتدت يد مؤرخ
الى سجلات السياسة وأراد تدوينها، فاته الكثير من ظروف تلك الحوادث
ودقائقها ومقتضياتها فلا ينال السياسى من حقه سوى لمحات خفيفة ناقصة
فلو أردنا اليوم ذكر أولئك العظماء بأعمالهم الخفية لاضطررنا الى سرد تاريخ
السياسة ومجملاته الضخمة على ما يعوزها من روح زمانها.

من الساسة فيما مضى من كان يتف عزمه على رأى يعتقده الصواب كما تتغير
الظروف. ولا يغير منه شيئاً، وقد يفلح بعض الفلاح ولكن الحوادث الجديدة
تكتسحه وتذهب بجهوده، ومنهم من كان حولاً قلباً يلبس لكل حال لبوسها
ولكنه لا يترشح عما وضعه نصب عينه من خطة مرسومة وأمل معقود. فهو مع
الثورة يخدم غاية معينة، وهو مع الامبراطور يخدم تلك الغاية، يتنقل من حزب
الى حزب دون أن يفرط فيما قصد له. يبنى. فإذا هدمت الحوادث ما بنى. يمد يد الى
الانقراض، ويعيد البناء وفق ظرفه على أن يكون وافياً لغرضه.

بفضل هؤلاء الذين لا يشيد التاريخ بذكرهم، أقيمت الأمم واستقرت ونهضت
الى أوج مجدها. هم لها إذا هبت العواصف من الخارج أو اضطراب موجهاً في الداخل قوة
وعدة للكفاح والحياة. فما أسعد البلاد التي تنجب مثل هؤلاء المفكرين المخلصين.

الهيئة السياسية

يقولون ان الحكومات اليوم لا تحتاج الى هيئة سياسية أى رجالاً اخصائيين
قد تروا بالشئون السياسية. وأن الديمقراطية. تكره هذا النوع من الانتخاب
الصناعى، لذلك يجب الاستغناء عن تلك المهنة. ولكن الحقيقة العملية تثبت
أنه إذا كان هذا الاستغناء ممكناً في عهد الملكية لسير حكومتها في طريق محدود
على نوع ما. فإن ذلك لا يمكن في عهد جمهورية تمر بها الحكومات مروراً لا يسمح
للوزراء بترسم سياسة ثابتة، وهذه الولايات المتحدة التي يفصلها عن العالم المحيطان
الاطلنطيقى والهادى، قد بدأت تشعر بالحاجة الى هيئة سياسية، فإذا كانت تجدد
تعيين سفرائها بعد كل انتخاب لرئيس الجمهورية، فقد جعلت من نظامها الثابت
الموظفين الثانويين ثابتين. وجرت العادة في فرنسا أن يقضى الشاب المرشح للأعمال

السياسية زمنًا طويلاً . للمران في السفارات ، يقضى بعد ذلك امتحاناً يُفرض من اجتيازِهِ الى منصب أسمى بلا مراعاة لمقامه أو نسبه أو شهاداته . ولقد لاحظ « سانت بوف » ان كثيراً من شئون المجتمع والحياة والعالم الجديد يتعاملها الانسان من الهواء والجو والعلاقات اليومية ، فالاعتماد فيها على الامتحانات ليس له سوى طاهر من العدل . فلا بد أن يعرف العلم بمعرفة الحياة والتبصر بالامور وادراك الحقائق الراهنة . لا بد من الفطنة والذكاء وهما ليسا بما يلحق في المدارس ، وقد عاب أحد المضطلمين بالشئون السياسية وطبائعها على الحكومات . حصر اختبارها في طبقة من الشعب . قائلاً ان أكثر هؤلاء السيادة لا يصلحون الا لسفارة احتفالات ، لالة مفاوضات ، قد يصلحون للمخطابة في حفلة ميلاد أو عرس أو تأبين ولكنهم لا طاقة لهم على الاعمال السياسية ومشاقها .

للحكومات الحق في أن تتخير من تشاء لخدمة أغراضها على أن يكون هذا الاختبار حراً بين الحذر والنقد

أما الذين يدعون الى الاستغناء عن الهيئات السياسية فانهم قابعون في منازلهم لا يطلون من نوافذها . اذا كانت الولايات المتحدة تستطيع ذلك فلأنها تعيش بعيداً عن جارات متاخمة ومنافسة ومزاحمة كما هي الحال في أوروبا .

وكيف أن نعلم أن بسمارك . لم ين لحظة عن التقرب الى جيرانه والاتصال بهم يعرف دخائلهم فيستغل خيرهم ويتقى شرهم . وكان هذا دأب نابليون . وان صح فيه القول انه كان يسعى لصداقة ومحالفة جيرانه بالسيف . وهذه انجلترا بنظامها المعجيب ، تحرص على مكتب السياسي الدائم . فيكمل الدول في حاجة شديدة الى سياسيين محنكين يقف كل منهم دولته على أخبار جيرانهم ودخائل أطماعها ومقدار استعدادها ولا عبرة بتغير أسماء هؤلاء السياسيين سواء كانوا سفراء أو مندوبين المهم أن تبقى المهمة ذاتها

القناصل

قال مونتسكيو في كتابه روح الشرائع « ان للاعمال التجارية علاقة ضرورية بالاعمال العامة . ولقد انتهى عصرنا الحاضر الى ادراك هذه الحقيقة وليس أدل

على ذلك من مشاكل البترول والكوكوشوك وغيرها مما له أثره في السياسة الدولية . لذلك صار من المتعين على الحكومات أن تختار قنصلاتها من بين رجال السياسة والاشغال العمومية

وقال تاليران في تحديد وظائف القناصل « إن مهمتهم تختلف الى ما لا حد له ، عليهم أن يكونوا مواطنيهم في دوائرهم قضائية ومحكمين ومصلحين ذات البين ومسجلين شرعيين ومراقبين صحيين وعاليهم بيان كل ما يتعلق بالتجارة والملاحة والصناعة في البلاد التي يعيشون فيها . وارشاد مواطنيهم من تجار وصناع الى موارد الربح الحقيقية ويدونون ما يجب من البيانات في مذكراتهم الخصوصية . »

ولكن مهمة القنصل في بلاد الشرق قد تجاوزت حدودها الأصلية بما عقد بين الدول الأوروبية وبين دول الشرق من الاتفاقات المعروفة بالامتيازات الأجنبية . وأول اتفاق من هذا القبيل هو الذي عقد بين فرنساوى الاول ملك فرنسا والسلطان سليمان في الاستانة سنة ١٥٣٥ بانقضاء الرعايا الفرنسيين من حكم « القاضى » ومن ثم سارت أوروبا على مثال فرنسا وأصبحت لها امتيازات خصوصية في جميع الأمم الشرقية بحجة أن العدل في هذه الدول غير مضمون وأن التجارة غير مكفولة ولا ضامن لها .

وبقيت هذه الامتيازات نافذة المفعول الى أن ألقت اليابان نيرانها ونقضت تركيا للتخلص منها . والحقيقة أن أعمال القناصل لم تكن دائماً خالصة لحماية العدل والامانة وكثيراً ما نشروا حمايتهم على من لا يستحقون الحماية .

لا يعطى القنصل اعتماداً لدى الحكومة المنتدب اليها . وإنما يعطى خطاب تعارف ، فمهمته في أصلها ليست سياسية ، ولكنها في الشرق تحاول أن تكون كذلك حيث يتدخل القنصل في المنازعات الفردية التافهة ، ويتحمس لكل شكاة يرفعها اليه مواطنوه . لذلك كان بزمارك وتاليران وثيرر يشددون على القناصل أن يجتنبوا كل مشكلة لا أساس لها بسياسة بلادهم .

الحفوات الرسمية

كانت العادة فيما مضى أن يحتفى بالسفراء احتفاء رسمياً لدى الممالك التي

يرسلون اليها . يحرص فيها السفير على مقام دولته وتظهر به الدولة الموفد اليها اكرامها لها. تجرى ذلك في حفلات غاية في الالفة والنفخامة يجتمع فيها السفراء الاجانب وكبار الدولة في قصر الملك . وكثيراً كانت تحدث أثناءها منافسات بين السفراء، وأخطاء من كبار الدولة أو السفير القادم تفنى الى مشاكل. وهكذا كانت الحال عند انقضاء مهمة سفير واستبداله بآخر. حيث كان ملك الدولة يقدم الهدايا والاموال للسفير الراحل .

تبدل كل هذا، وان كان لا يزال أثره ظاهراً عند تقديم أوراق الاعتماد. حيث تلى الناطب اعلاناً بالموودة والترحيب كما انهم اكتفوا عند توديع سفير أن يمنحه الملك نيشاناً أو يقلده وساماً . نلى أن الممالك لا تزال حتى الآن على تفاوت فيما يتعلق بهذه التقاليد .

لغة السياسة

استمرت اللغة اللاتينية حتى القرن السادس عشر بين الدول المسيحية لغة السياسة يتحدث بها في المؤتمرات وتكتب بها المعهود والاتفاقات . ومن ثم قامت بين الدول تلك الحدود الادبية التي فرقت بين ميولها القومية كما فرقت الحدود الجغرافية بين مواقعها . غير أن اللغة الفرنسية بفضل لويس الرابع عشر وفولتير. أصبحت لغة السياسة بين جميع الدول بحيث كانت بروسيا وروسيا وانجلترا تكتب وثائقها السياسية باللغة الفرنسية . ولكن الولايات المتحدة كانت على الدوام شديدة الحرص على لغتها فلم تكن تسمح بكتابة ميثاق دولي يتعلق بها الا باللغة الانجليزية ، ولذلك كُتبت معاهدة فرساي باللغتين الفرنسية والانجليزية .

الديمقراطية والحرب

لم يكن الألمان سنة ١٨٧١ قد جلوا عن سان دانيس وإن كان الحرب الاهلية كانت قائمة بين الفرنسيين، فقال جول سيمون : ان الحروب الاهلية والدينية هي التي يجد لها القتلى مبرراً . والحقيقة أنك تجد الجندي أشد صلابه واستبسالاً عند ما يحاول أن يحقق حلمًا . وقال مونتسكيو، قبل روسو، متى اجتمع الناس ذهب عنهم الخوف . وبدأت الحرب . فعلى الدول أن تعمل ما كان يقول

به امرسون لكل فرد . « من لم يتغلب كل يوم على خوف فهو رجل لم يتعلم شيئاً من دروس الحياة » .

غير أن مما يغتبطله أن الانسانية بدأت تبغض الحروب الدولية . وما اتفاقات التحكيم ومحكمة لاهاي وعصبة الامم سوى أدلة على عاطفة عامة تجعل الحرب نادرة الوقوع . والفضل في ذلك لرجل السياسة الذين أحدثوا هذا التغير في النفوس . لذلك ترى اليوم الحكومات تناق المعاذير لتبرير ما تقدم عليه من حروب .

من الازهام ما يعتقد البعض من أن الديمقراطية حامية السلام . إن لهذه شعورها وشرفها وما ورثته عن الارستقراطية من الاهتمام بمصالحها المادية وكفى بهذه أسباباً قد تدعوا الى الحرب . غير أن الحقيقة التي لامراء فيها أن الحرب ستكون نادرة لان اقتياد شعب كامل أبعد نوالاً من اقتياد حكومة . فلو كان حزب المحافظين على رأس الحكومة الانجليزية سنة ١٩١٤ لما تردد في اعلان عزمه على خوض غمار الحرب وربما حال اعلانها دون وقوعها . ولكن الشعب الانجليزي عند ما علم اجتياح الالمانيين حياد بلجيكا لم يطق صبراً . فالنظم الديمقراطية عائق في سبيل الحروب ومتى كانت الحرب بين الشعب لا بين الجيوش كانت أفضح وتماً وأشد هولاً .

لقد خرجت السياسة الداخلية والسياسة الدولية من مكتب الوزراء . وأصبح لرجل الشارع بما فيه من أهواء وغرائز وأوهام كلمة فيها وصار من اصعب الامور على السياسي أن يكبح جماحه فإذا كان للانسانية أمل في تخفيف ويلات الحرب ان لم يكن منعها فلا ينتظر ذلك من الشعب بل يجب أن ينتظر من عصبة الامم

عصبة الأمم

قال فولتير « ان العالم قائم على متناقضات فماذا يجب لاغائها ؟ لو اجتمعت حكومات الجنس البشري على مافي طبائع الناس لكان اتفاقهم تناقضاً جديداً » ان فكرة جمعية الامم ليست من مبتكرات ويلسون . فقد فكر فيها من قبل

سوالى وفنلون وسان يير . ولكونها لم تتجسم الا أمس مؤلفد شهدنا ميلاد عصابة الامم وسمعنا صوتها . على انها لم تنج من سخر أعدائها .

ان عصابة الامم تمثل انراى العام وهى تقف به في سبيل الخطاطرة والمخاطرين ولكن . انصارها أشد خطراً عليها من أعدائها بما يقدمون من مشروعات خيالية توهم اذا سائرون الى حياة تجعل الأرض فردوس النعيم . حيث لا خصام ولا شقاق بين الامم . يزعم هؤلاء أنه لم تبق حاجة الى السياسة لأن مندوبى الدول سيجمعون في جنيف . وفاتهم أن من السخف ما يذهبون من انتظام أعمال الحياة الدولية بقوة جمعية غير دائمة . اذا كانت جميع الامم تستطيع تسوية المعضلات الكبرى فمن الطائفي أنها لا تستطيع أن تنفض جميع الاختلافات التي تشجر كل يوم بين الأمم . ولا سبيل لتسويتها بدون واسطة السفراء ورجال السياسة وكأن هؤلاء الواهين يحسبون أن المسائل تفض في جلسات البرلمان . ويجعلون أن جلها ان لم يكن كلها يعد في أروقة ودهاليز البرلمان . لا بأس أن لا يكون للسياسيين مكانا في عصابة الأمم ولكن الحاجة اليهم لازمة لمناقشة المصالح القومية واتخاذ التدابير لحمايتها .

ويذهب البعض الى ان تصور الشعوب قد أهملت مصالحها واستغنت عن المحالفات اعتمادا على عصابة الأمم التي تعتبر جميع الدول المستقلة في منزلة واحدة فلا حاجة بهم الى الاتحاد لتقوية ضعفهم . وهذا هوس لا يخفى وهن عقول أصحابه . هب أن الولايات المتحدة انضمت الى جمعية الامم . أيعال أن تكون منزلة مثلها كمنزلة مندوب احدى جمهوريات أمريكا الجنوبية ؟ ألا يجتذب العظيم من الاتباع والمؤيدين مالا يجتذب الصغير ؟

كان الشائع في المانيا قبل حرب سنة ١٩١٤ أن لا معنى لبقاء دول صغيرة وأن الواجب ادماجها في الدول الكبرى . وكانت فرنسا تعارض هذه النظرية . جاءت عصابة الامم ، ولا يمكن أن تخلو من أحزاب ، فقررت بقاء الدول كبرها وصغيرها وأباححت التحالف بما نصت عليه من أنه لا بأس أن يعقد بعضها مع بعض اتفاقات وعهود يكون الغرض منها حفظ التوازن .

ويقول البعض اعتراضاً على هذه الملاحظات أن الحال في أوروبا لن تبقى على ما هي عليه وأن ستنتهي تحت رعاية عصبة الأمم إلى الانضمام والاتحاد تحت علم واحد. وتدعى الولايات المتحدة الأوروبية . ومتى تم لها ذلك استغنت عن المحالقات . ومن تأمل عبارة «الولايات المتحدة الأوروبية» علم أن أمريكا والصين واليابان وأستراليا تبقى خارجة عنها وحتى اصطدمت بمصالح هذه الولايات الأوروبية بمصالح غيرها وقعت الحرب لا بين دولة ودولة بل بين قارة وقارة . وهناك الفرع الأكبر وهما أسباب الخلاف ظاهرة من الآن يشهد بها توتر العلاقات بين أمريكا واليابان بسبب منافسة البéal . على أنا لو فرضنا امكان تحقيق فكرة الولايات المتحدة الأوروبية أيمنع اتحادها الحرب بينها وقد علمنا التاريخ القديم ما كان من الحروب بين الولايات اليونانية رغم اجتماع مندوبيها في مجلس الانفاكتيون الذي لا يختلف في شيء عن مجلس عصبة الأمم . والتاريخ الحديث يعلمنا ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية وفي سويسرا . حيث كادت الحروب الداخلية تمزقها .

وإذا حاولت عصبة الأمم السيطرة المطلقة على الدول أضاعت استقلال هذه الدول . ولا يمكن أن تصل إلى ذلك . وكذلك لن تجد سبيلاً للتسوية بين الممالك العظمى والصغيرة . وكفى عصبة الأمم لصيانة السلم العام أن تعنى بالمحافظة على المعاهدات واحترام الاتفاقات الدولية والوقوف بكل دولة عند حدودها المقررة . إن عصبة الأمم لا تعتمد على قوة السلاح بل على قوة الرأي العام . فهي في حاجة إلى تعضيد جميع الأمم . فكل ما ترجوه أن يتف الرأي العام على حقائق الأمور وأن يكون عوناً لعصبة الأمم على صيانة السلام أو على الأقل لتفسيح للشعوب النائرة مجال التفكير والعودة إلى الصواب .

سياسة الغد

علمنا مما تقدم أن مهمة السيانسي الدولي ستكون في المستقبل غيرها في الماضي . فقد تغيرت العلاقات بين السفراء والوزراء عما كانت عليه . كانت العادة فيما مضى أن يعطى السفير تعليمات مكتوبة تتضمن الحالة العامة في أوروبا ولم يخصص

سياسة حكومته والاغراض التي ترمى اليها ولم يكن في وسع السفير أن يحيد عنها في زمن لم تكن المواصلات بينه وبين رئيسه ميسورة . لذلك كان يضطر عند مفاجأة الحوادث أن يبذل ما في مقدوره من قوة ودهاء .

ولكن التليفون والتلغراف قد يسرا المواصلات وسهلا الخبايرة بين الوزير والسفير وبدأت رغبة الوزير في العمل بنفسه مباشرة ولكن هذه الطريقة لا تخلو من خطر في الحوادث المستعجلة ، إن الغرض من وجود وسطاء لا يستطيعون الفصل في الامور بأنفسهم بين الحكومات هو اكتساب الوقت لاحكام الروية والامعان في التفكير . على أنه مهما تكن رغبة الوزير في تناول الاعمال الدولية بنفسه لا يستطيع النظر في جميعها وعليه لا بد له من رقيب هنالك ينقل اليه دقائق وتفصيلات الحوادث . لذلك نحسب أن مهمة السياسي الدولي لم تنته . غير أنه مطالب اليوم أن يعنى بالحالة الحاضرة وما تنطوي عليه من أغراض .

وليس معنى هذا الغاء سياسة قديمة وإيجاد سياسة جديدة . أن جوهر السياسة باق وإنما يتغير منها الظاهر . وسيكون لكلمات الفضلاء من السفراء أثرها في الحوادث . قل تيمير . لا توجد مسائل خطيرة ومسائل غير خطيرة . لا يوجد سوى مسائل . إن التاجر الصغير يحتاج في تجارتها الى ما يحتاج اليه المفاوض من الدقة والمعرفة . وقال لورد جريفة أن حرب سنة ١٩١٤ أحدثت هوة سحيقة بين عهدين للسياسة الدولية . إن الذين عاشوا وعملوا قبل سنة ١٩١٤ يجدون اليوم أنفسهم أمام حوادث وشؤون جديدة يلتبس عليهم فهمها . لقد انتقل جانب من ادارة الاعمال الى الشباب وستنقل اليهم كلها وهؤلاء اقدر منا على فهمها . لا يجب ان نعتقد اننا لما نعرف من شئون الماضي احد منهم نذرا الى المستقبل . وكل ما نستطيع عمله هو ان تقدم اليهم خبرتنا وآراءنا لعلمهم يفيدون منها شيئا .

ان الذي يتقدم بالانسانية اليوم هو روح الديمقراطية لاتدابير السياسيين وخطابهم فعلها ان تعرف الى اين تسير .

لقد أدت الهيئات السياسية للانسانية اجل الخدم . أما النظم التي أسست في جنيف ولاهاي فمن شأنها أن تحمنا على تعجيد ذكرى الذين دغوها وأقاموا أسسها

أسماء

قصة واقعية منتزعة من الحياة الاجتماعية

في منتصف الساعة الثامنة كل صباح سوى أيام الجمعة. يرى أصحاب الحوانيت وعلمان القهوة في شارع فتاة متقنة الهندام رشيقة القوام. تسير رزينة بخطى متشدة في هنة جديّة. تحمل بضع كراريس وكتاباً كأنها تقصد الى مدرسة الا أنها فيما يرى الناظر قد تجاوزت سن الطالبة . وكان يرى جميع هؤلاء مضافاً اليهم تلك الفتاة ، شاباً متأنقاً يحمل كتاباً لا أظن القارئ يعنى بما فيه ولا أظن حامله كان يعنى به لان نظره لم يكن منصرفاً الا الى تلك الفتاة .

تكرر هذا اللقاء الصامت الذي يلوح كأنه عن ميعاد مضروب؛ فالتفتت اليه الا نظار بهو كان طبيعياً أن تشتبك أنظار المتلاقين. وما أبوا أن ينال بعد ذلك ستمجالاً للحوادث واقتصاداً في روايتها .

نظرة فابتسامة فسلام ، فكلام فموعد فلقاء .

ولكنى أرجو الى القارئ أن يسمح فأقف به قليلاً في منتصف الطريق . جاءت النظرة عفواً والابتسامة ساحة والسلام كرماء أو أدباً لا بأس به. أما الكلام فلا بد للوصول اليه من تفكير وعزم وإقدام . لذلك وقف الفتى أمام هذه المحطة من مرحلة غرامه ، موقف الحائر . أيستوقفها في الطريق فيحادثها . لا . هذا لا يليق بأدابه عدا خوفه من أنظار الناس . وهي ! من يدري كيف تقابل هذه المرأة . لا . لا . أرسل اليها من يعرض عليها الامر . من وكيف ؟ أيتعقبها في السير أو يرصد عودتها فيعرف منزلها . أخذ يعذب نفسه بهذه الوسوس الى أن انتهى الى العزم أن يكتب اليها وأن يتبعها الى حيث تخف الا نظار عن مراقبته فيعطيه الرسالة . وعلى هذا العزم كتب فعلاً يقسم لها بشرفه وإيانه أنه يحبها وأنه باسم هذا الحب يرجو اليها أن تقابله ولو بضع دقائق . وأنه سيكون صباح يوم الجمعة في حديقة الاسماك في انتظار سعادته أو القضاء عليها . الامضاء رشيد لم يكن من السهل على صاحبتنا أسماء (ان لم تكن تعلم أنها تدعى أسماء

فليكن في علمك ذلك .) أن تلبى رجاء رشيد أو تثق بما جاء في رسالته التي لم تشعر إلا وهي ملقاة بين دفترها وكتابتها . فلم تجسر على الالتفات الى من ألقاها كأنها خشيت أنظار الرقباء أو كأنها كانت تعلم ملقبها على أنها لو التفتت لما رأت أحداً لأن الذي ألقاها كان أسرع الى الانزواء من أن تأخذه الانظار . هل تذهب الى الحديقة ؟ ولماذا لا تذهب ؟ ولماذا لا تقابل رشيد ؟ أليست بحكم صناعتها (وأرجو الى القارىء أن يعلم أنها مدرسة) تحدث الرجال ؟ أليس لها من علمها الادبي ما يدعوها الى الثقة بنفسها . ولكن من يدري كيف ينظر رشيد الى سرعة تلبيتها رجاءه . أليست طواعة تلبى كل نداء أو يقدر أنها لم تخرج في ذلك عن حدود الآداب واللياقة .

قضت ليلتها مترددة بين الحياء الملائم للعادات والتقاليد . أو اطاعة الحب ملازم الحياة الجديدة الذي فتحت النهضة الجديدة السبيل أمامه .

ملاح صباح يوم الجمعة حتى نهض صاحبنا رشيد . وحق لحيته وهذب شاربه وارتدى أجمل ماله من ثياب وتأبط عصا وكتاباً وانطلق الى حديقة الاسماك وكأنه النحلة تسرع الى الزهرة اليانعة . أسرع فطاف جوانبها وتفقد أقبيتها لما لم يجد أحداً أخذ يخطو الهويناء يستروح النسيم ويقف أمام كل مقصورة ليتأمل ما فيها من السمك وكلها جميل في نظره ؛ كلها رشيق كلها محبوب . مضت الساعة التاسعة . فأعاد الكرة متجولاً باحثاً متطالماً الى كل داخل . رابه غيابها ولأح امامه شبح الشك ولكنه بقي يدافع ما يتسرب الى نفسه وما يلوح أمامه بقوة ايمانه بالحب . انتصفت الساعة العاشرة فتجسم الشك ولكنه بدل ان يئس لزم مدخل الحديقة وشخصت عيناها الى الداخلين . وفي هذا الوقت المتوطن على الجمود كان فكره في شغل شاغل : هل سمخرت من رسالتي ؟ لا ، إن صفاء وجهها وصدق نظراتها ادعى الى الرجاء . انها آتية . آتية بلا محالة لتأت ولتقل ما تشاء .

دقت الساعة العاشرة وأحس رشيد بخفق فؤاده خفوقاً شديداً بشره الحظ والامل بأن اورد على ذكرته قول الشاعر .

ما للقلب الا داره دقت له فيها البشائر

ماهي الا نظر يتداوله حتى هتفت اجزاء نفسه كل يبشر الآخر هاهي !
 داهي ! جاءت أسماء وجاءت وحدها . كنسمة السحر او نجمة الفجر وطلعة الصباح
 فذب الامل المرجو . جاءت في أبهى مايزدان به الفتاة ، وجه كله طلاقة ووسامة
 وجسم كله رقة ورشاقة ونفس كلها وقار وثقة .

أسرع رشيد اليها في شيء كثير من الورع كأنه مؤمن يتقدم للعبادة . مد
 اليها يده باسم متواضعاً والى كنفها تقدمته . سارت وهو يتبعها الى قمة تلك الربوة
 العالية ثم استوت هناك على مقعد كائنها الآلهة . دنا منها يقدم اليها قابله قرباناً جرى
 بينهما حديث العاشقين الذي يعرفه ويعرف ما فيه من طرب وسرور ولذة ، كل
 من حادث حبيباً ، غير أن حديث صاحبينا امتاز عن سواه بأثره في نفسيهما
 ذلك انه لم يثر فيهما تلك الشهوة الجنسية المتفكرة وراء كبوات الحب الخيال
 او ما يدعونه الهوى العذرى . بل كان اثره الاحترام ونوع من التقديس لا تدرى ما
 سببه حتى كأنهما جاءا للاتفاق على التنسك والعبادة لا لحياة الحب وشبهواته . انلك
 الكتب التي كانا يحملانها او صناعة التعليم وما تقتضيه من التزام الجد والشمعة
 أم هو شيء آخر ، لذلك كان اقصى ما فاه به رشيد قوله « ثقي أنى أمامك عابد
 فأسمحي لى أن أدعوك معبودتى »

تكررت المقابلة وتكرر اليقين . وتقدمت الدعوة الى الحياة المشتركة وما
 ينتظران من سعادة كأنهما وجدوا في ذلك الحب القدسى لذة تستحق ان تقضى
 فيها الحياة . ادركت الوالدتان على ابنيهما هذا التغير وعرفتا سببه فلم تمض ايام حتى
 صاحب رشيد والدته لزيارة اسماء في منزلها

علمت والددة رشيد ان والد اسماء يدعى الحاج حسنين وانه من تجار طنطا
 وكان يزور القاهرة مرة او اثنتين كل اسبوع ، وعلمت والددة اسماء ان والد رشيد
 تاجر في الحمزاوى . سرت الوالدتان لهذا التعارف وارتاحت كل منهما لعروس
 ولدها . واتفقتا على محادثة زوجيهما في موضوع الزواج .

ما رأت أم رشيد زوجها حتى أبلغته الخبر قائلة : لقد زرتها وحادثتها وهي
 فتاة جميلة مهيبة « بنت حلال » عاقلة . ولم تخف عليه ما بين ابنيها والفتاة

من الحب . وبالطبع كل ما عرفته عن أسماء ووالدتها ووالدها ومنزلها . وبينما كانت تتوقع في ختام حديثها كلمة الرضى من زوجها وأنه قد تقطب جبينه وأعلن عدم رضاه عن ذلك الزواج في غلظة وعنف .

حارت الزوجة وأرادت معرفة السبب فلم تظفر من زوجها بغير قوله . لا . لا يمكن . لم يحن وقت زواج ابنك بعد . سأبحث له عن زوجة غنية . ألحت الزوجة في اقناعه وألح في الرفض فلم تر خيراً من الانتظار .

ومن الغريب أو مملاً غرابية فيه ، أن لقيت أم أسماء من زوجها هذا الاعراض والنفور ، وكان الجواب واحداً . أريد لا بنتنا زوجاً غنياً ، وفهمت الزوجتان أن سبب النفور هو حب زوجيهما للمال وخوفه من نفقات العرس فكانت هذه تقول سأعطى ابنتى جميع حلاى . وتقول تلك سأبيع فدائين أزواج بهما ابنتى وأفرح به . ولكن هذه التصريحات أو التسميعات لم تصل بهما الى الغاية . اشتمل المنزلان على القلق وأدرك العاشقان حقيقة الحال فلم يطيقا صبراً . ازدادت أواصر الالفة بينهما ارتباطاً واشتدت رغبتهما فى ان يسكنوا مع بعض فعمداً الى التفكير في طريقة يحققان بها سعادتهما وأحست الوالدتان بذلك فما هى الا أيام حتى دار بين والدته رشيد وزوجها الحديث الآتى .

أم رشيد — ان نتيجة اصرارك على منع ابنتى من حببته أنه سيتركها بعيداً عنا .
الزوج — لا يمكن .

أم رشيد — بل ممكن جداً وأحسبه قريباً جداً .
سخر منها الزوج وقال متهمكاً . قريب جداً ! قلت لا يمكن . وكفى .
أم رشيد — وأنا أقول لك . انى لأستطيع حرمان نفسى من الفرح بابنتى وها أنا ذاهبة لحضور عقد كتابه .

نظر اليها الزوج غاضباً — تحضرين عقد كتابه . أبلغ الامر الى هذا الحد؟
أم رشيد — وانتهى الامر فقد أبلغنى رشيد أنه استأجر شقة من منزل وفرشها واتفق مع الفتاة ووالديها . ودعا المأذون الشرعى وسيعقد عليها الليلة .
انتفض الزوج — هذا غير صحيح . أعرف أن والدها لم يقبل هذا الزواج

أم رشيد — ماذا بهم رضى أو لم يرض . كفى أن العروسين راضيان .
 الزوج — الليلة . بدون على وبدون حضوري . قلت هذا لا يكون . هذا
 لا يكون . حذار . حذار أن يقع ذلك .

كان في صوت الزوج هزة خوف عميقة . فكان رنينه في أذنيها رنين توصل
 إلا أنها هزت كتفيها وقالت ساخرة — اذا كنت تريد ألا يقع هذا فهيأى معي
 نحضر عقد الكتاب . أوكد لك أنك ستسر بروية العروسين . وتفرح وتدعو
 لهما بالزواج السعيد . ما أجملها وما أوفر أدبها . انتظرنى حتى ألبس ونذهب معاً .
 ثم انشنت أم رشيد الى غرفة هندامها . وبقي الزوج جامداً لا يتردد في خاطره
 سوى شيء واحد . لا يمكن . لا يمكن . عادت أم رشيد وقد لبست ثياب الزيارة
 وتهيأت للذهاب . رأت زوجها جامداً في مكانه فقالت مازحة « شاورت عقلك »
 « الله يهديك » هيا بنا .

قال الزوج : وكأنه لم يسمع كلمات زوجته — وهل يعقدون الكتاب إذا لم تذهبي ؟
 أم رشيد — لقد انقلب رشيد فما هو ذلك الابن الطائغ اللطيف الهادى ؟
 لقد جاءنى في هيئة المتعنت المستبد . وقال بعنف لم أعرفه فيه . اسمى يا والدتى .
 لقد انتهين الامر سأعقد كتابى على الآسنه أسماء الليلة . فاذا حضرت كان سرورى
 عظيماً . حاولت بعد أن عرفت منزله الجديد أن أكلمه أو أمسك به ولكنى أفلت
 من يدى وطار كالعصفور قائلاً . الليلة الساعة الثامنة ستكون أسماء زوجتى .
 تعامل الرجل كمن يحس المأداً خلياً يحاول الا يبدو على وجهه . ثم غالب نفسه وقال .
 ابقى أنت وسأذهب أنا .

أم رشيد — انه ليس ابنك وحدك . انى ذاهبة لا محالة .

الزوج — ابقى . ابقى أنت .

عصيت . أم رشيد وأبت سماع كلمات زوجها فانطلقت مسرعة ولم يسمع الحاج
 حسنين سوى الجرى وراءها . وهو يردد في نفسه . لا يمكن . لا يمكن . لقد اتفقت
 معه والدته اللعينة . هذا انتقام مؤلم .

مادقت الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة حتى كانت أسماء والدتها

ورشيد في المنزل الجديد . والى جانب رشيد اثنان من خير أصدقائه . وقد حضر
المأذون وقدمت القهوة وتلاها شراب الورد وفتح الشيخ دفتري .

في هذه اللحظة دخلت السيدة أم رشيد مسرعة . وهي تقول . رشيد . رشيد
انتظر . لقد رضى والدك وجاء معي . فهتفت أسماء بصوت خافت . آه ليت والدي
أيضاً يحضر معه .

انتفض رشيد سروراً وأسرع الى والدته يقبلها في غيرة وعي — والدتي .
والدتي . ! أين أبي ! أين أبي !

ماظهر الحاج حسنين عند مدخل الغرفة حتى أسرع اليه رشيد وأسماء وكلاهما
يصيح . والدي ! والدي !

بهتت السيدتان ونظرت كل منهما الى الاخرى نظرة استغراب واستفهام
يمازجهما شيء غير قليل من نظرة الضرة الى الضرة ثم حولتا أنظارهما الى
الحاج حسنين .

ولما هدأت سورة المفاجأة قالت أم رشيد لزوجها . هل أنت والد أسماء ؟
وقالت خربتيا . هل أنت والد رشيد ؟

لا أريد أن أثقل على نفس القارىء في هذا الموقف بالافاضة في بيان
ما كان يجول بنفس ذاك الزوج الذي عاش بين الضرتين يكذب على كل منهما
بأنه يعيش لهما وحدها . وقد رأى نتيجة ذلك الكتمان التي كادت توقعه في نكبة
لا تشرف والدأ

ان نظرة واحدة الى ذلك الرجل تكفى لتعرف ثورة نفسه التي رقرقت
الدمع في عينه ثم أجرت منها دمية لا تدري أدمعة الندم والاضطراب ؟ أم دمية
الالم والحزى .

أسرع رشيد الى أخته أسماء واجماً يتردد الفرع في نفسه من هول ما كان
مقدما عليه . ضم أخته الى صدره وهو يقول . ستبتين يا أسماء معبودة أخيك .
فأجابته أسماء في جملة الموتور الحانق . على أن تقسم لي بشرقك الاتمخون زوجتك
بمثل هذا النفاق .

البعد الرابع

THE FOURTH DIMENSION

أُرقب فيك (الله) والنعمة الكبرى
 وهل منك أستوحى الملاحه و (الشعرا) ؟
 لن كان ما حجبت كوناً مصرداً (١)
 من الناس أجساماً ، فهل تخذل الفكر ؟
 ون كان لا يدريك قوم حياتهم
 ممات فهل وافاك من فاتهم حرا ؟
 أليس لأرباب (الفنون) ألوهة
 وفي كونك المستور تستودع السرا ؟
 وما كنت مخشى العرام (٢) كالم
 نعيش به طحناً ونتركه ذعراً
 وهوب (٣) لمن ناجاك ، بالوحى مسعداً
 فليس الذى ناجاك من يشتكى الفقرا
 إذا اندمج الفنان فيك تمثلت
 له نعمة (الدنيا) كما بانت (الأخرى)
 فيسمع أنفاهاً ويبصر جنة
 وحسناً وسحراً لم يكن أبداً سحراً
 وما الموت الا نقلة لآخرها
 ومبدأ عمر فيك قد دام وافترا
 شعاع وأمواج يقصر حسنا
 بعالمنا عن أن يشق لها سترا
 إلى أن نعلی (للبرمان) بالحجى
 فتعشق أرواح لنا فيك مستندى

(١) مصرداً : ممنوعاً مقطوعاً . (٢) العرام : الشراسة والاذى . (٣) وهوب : كثير الهبة

ولمست تناصي (١) الشمس بل قد تفوتها
 دوامج (٢) تغزو الكون أجمعه طر
 مصاليت (٣) أبطال نجوم بلا وني
 بكون سلام لانسام به ضر
 نما غزوات (للسعادة) دائماً
 كما قد عرفنا البعث والخالد الدهرا !

*

* *

وقلت لمن قد عير (الشعر) حاسباً
 به الوهم مسطوراً وغفلتما الكبرى !
 « وهمت فليس الشعر في صدق روحه
 سوى صلة بالكون لاهبة صغرى
 وكل خيال فيه حس محقق
 لدى الشاعر الفنان يبذله نشرًا
 يترجمه . لكن يفوت أجله
 فما لغة الدنيا سوى لغة الأشرى
 وما اتسعت للوصف عن غير ماها
 وللشرح عما قد سما نيرا قدرا
 وما الشعر الا مجمع الفن كله
 فكان لسان الخلد لا الناشر الكفرا
 فن شئت عيش عيش الجسوم مضللاً
 أسيراً ، تظن الأسر للمادة الخيرا
 ولا تلق تثريباً على الشعر بيتاً

يقود نفوساً في ظلام الأسى حيرى ! »

أبو شادي

الاسكندرية في ١٤ مايو سنة ١٩٢٨

(١) تناصى الشمس : تبلى ناصيتها أى مستوى رفعتها (٢) دوامج : متغلغلة من دمج
 بمعنى دخل في الشيء واستحكم فيه (٣) مصاليت : جمع مصالات وهو الحاد الماضى في أموره

تأملات في الأدب والحياة

يحاول أحد أساتذة الجامعة المصرية وهو أستاذ اللغة العربية والآداب . أن يقول ، بل هو يعتقد بأن القرآن ليس بكتاب منزل ، وأنه من وضع محمد بن عبد الله بز به العرب بلاغة تعبير وقوة بيان وحسن سبك وفصاحة أسلوب ، فغلبت عليهم فكرة أنه معجز وصحت لديهم من هذه الطريق نبوته ، فكان واضح الدين الاسلامي للذي لا يكمل الاسلام من غير أنه يذكر اسمه بجانب اسم الله فيقول المسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

يعتقد الشيخ طه حسين هذا الاعتقاد ويحاول أن يبلغ الى بث فكرته بمحاولات عديدة منها محاضراته التي يلقيها في القرآن يورى فيها تورية ، ومنها أحاديثه الخاصة يروح فيها بما يعتقد . غير أنه لا يجراً على أنه يجهر برأيه هذا بين الناس ويذيعه على رؤوس الأشهاد ، فيدور في محاضراته تلك الدورات الغريبة ويلف تلك اللفات البعيدة التي لا تنهى الى غاية ولا تصل الى قصد معين . ولست أدري لماذا لا يجاهر الاستاذ برأيه ؟ أظن أن السبب في هذا قلة إيمانه بصحة ما يرى وضعف عقيدته بصلاحية النظرية التي يعتقد بها . والا لكان من الواجب عليه أن يذيع رأيه بشجاعة ويدافع عنه بصلافة ، اذا كان تام الاعتقاد بصحته .

تقوم في ناحية أخرى فكرة مشابهة لفكرة الاستاذ هي فكرة الشيخ علي عبد الرازق في أصول الحكم في الاسلام . هو في الواقع يريد أن يقول ان حكومة الاسلام لم تقم على قواعد اجتماعية صحيحة وانها كانت حكومة مستبدة اجتمعت فيها السلطة الدينية والزمانية في شخص واحد . وان هذه القاعدة لا يصح أن تكون أساساً لقيام حكومة فيها من النظام الديمقراطي قسماً يضمن صلاحية الحكم وقيام العدل بين الناس

يريد هذا فيلف ذلك اللف البعيد . ويدخل بنا في مناقشات شبيهة بالمناقشات التي دارت في جميع افسوس وخلفيدنية ونيقية ويقذف بنا في بحث مسألة الحكم

في الاسلام من ناحية التوكيل الالهي لشخص محمد عليه السلام . ولماذا لا يقول بأن أصول الحكم في الاسلام بائر وأن القاعدة الديمقراطية أصح منها ؟ السبب في هذا أن انشجاعة في ابداء الرأي تنقصه والايان بصحة نظريته ناقص غير كامل

قال الاستاذ بكر بعد بحث طويل في مدلول لفظة « الاسلام » ما يلي :
« وقد تستعمل لفظة « الاسلام » في النهاية لتدل على ذلك النظام العمراني الذي يجمع في تضاعيفه بين الحكومة والدين . لان قيام مدينة ما ، على الرغم من كل اختلافات الموضوعية ، وعلى الرغم من قيام تلك الاختلافات في كثير من عصورها المتفرقة ، إنما يدل ظاهراً على أن فيها كثيراً من صفات التماسك والبقاء . انما انما نبحث في حقيقة التبعية للدين ، فنجد أن حكومة الاسلام ومدنيته عبارة عن وحدة تامة شاملة كامة الاوصاف ، حتى أن أكثر الناس قد يضمون أمماً بلغت الفروق بين بعضها وبعض ، مبلغ الفروق الكائنة بين الآريين والساميين والزوج تحت ذلك الاسم الجامع — « الاسلام »

هذه هي الحقيقة . الحقيقة أن الاسلام كان ديناً وحكومة وأمة عظمى . والحقيقة أيضاً أن هذا الحكومة كانت من أسباب الضعف الأولى في الاسلام وفي مدينة الاسلام . ولماذا لا تقول بانك تفضل الحكومة الديمقراطية على هذه الحكومة ، ولا تلف اللف البعيد ، وتقيم من النظريات ما يقذف بنا في ذلك التيه الجدلي لندي لا نصل فيه الى نهاية ؟



الخطأ الأكبر الذي وقعت فيه الأديان قولها بأن الله منفصل عن المادة وأنه ذات متحيزة منفصلة عن الماديات تدبر الأكوان والعناصر المادية بقوة ترسلها على الموجودات كما ترسل الكهرباء تياراتها على الألواح القابلة من التلغراف اللاسلكي . وكان هذا الخطأ سبباً في أن يعجز أهل الدين عن مجاراة أهل العلم في تفسير المادة ، ومن في يعجز أهل العلم عن ادراك الله في تفسير النصوص المنزلة . وكانت أكبر المشكلات التي وقم فيها أهل الأديان البحث في قدم المادة

قالوا بأن الله قديم مخالف للحوادث . آمنا بذلك وصدقنا . ولكن كيف تذكر على المادة قدمها . والعقل لا يسلم بخلق شيء من لا شيء أو فناء شيء الى لا شيء ؟ وكيف نوفق بين حدوث المادة وقدم الله ، اذا اعتقدنا بأن الله علة كاملة وأن العلة الكاملة لا يتخلف عنها معلولها بحال من الاحوال ؟

وعندى أن المتصوفين والباطنيين أصحاب القول بوحدة الوجود قد حلوا أكبر اشكال صادف العقل البشرى خلال كل العصور . قالوا بأن الله هو المادة والمادة هي الله . أى أن في المادة مبدأ مديراً هو الله . وان عنصر النظام الذى تعثر عليه فى نواح المادة هو الله . وأن القدم المادة لا يترتب عليه الاعتقاد بحدوث الله . ولا قدم الله يترتب عليه حدوث المادة .

المادة فى الله والله فى المادة . هذا هو المبدأ الذى يخيل لى أنه صحيح . والذى يحل مشكلات أهل الدين وأهل العلم فى هذه المسألة الكبرى بل يكون معه الدليل على وجود الله ملموساً محسوساً لا يحتاج الى تلك الجدليات العقيمة التى لا تنتهى الى غاية ولا تنف عند نهاية . جدليات أقول ما كان فيها من الضرر انما أبعدت الانسانية عن الله ، وأبعدت الله عن الانسانية ، بقدر ما كان فيها من التصيب لفكرة القدم ومخالفة الحوادث .



دارت حول البهائية معركة حامية على صفحات «العصور» . وعلى الرغم من أن المعركة قد دارت حول تاريخ البهائية ونشأتها وبعض منازع يظهر بها أنصار هذا المذهب الجديد أو الدين الجديد أو الخرافة الجديدة أو ما شئت من الاسماء ، فإن المناقشة قد أخذت تتطور من بحث تاريخى الى بحث فى اصل العقيدة البهائية ، وفى نشأتها وفى أنها دين منزل وفى أن الله حل فى عبد البهاء وفى عباس افندى من بعده . وانه يحل الآن فى شوقى افندى بخليفتيهما الاخير ، كأن الله لا شغل له عند البهائيين الا أن يتقمص تلك الاجسام البشرية التى لا تخرج عن أمها ماء وطين ، وان هذا المزيج سوى ذواتاً ندنوها البشر .

ولا جرم أن هذا الدين أجراً الاديان على الافتراء . وفى الازمان القديمة

اختار الله بعض الشعوب دون بعض ، وميز بعضها على بعض برسالاته ، وخصها بعطفه . أما اليوم وعن طريق البهائية فانه يختار النوع البشرى برمته . فكان اختياره لليهود في الازمان السالفة كان عبثاً تريد البهائية اليوم تقويمه

ولا يضرنا اليوم أن يضاف الى الاديان التي تنشر بين سلالات البشر ديناً جديداً ، ولا يضير الانسانية أن تزيد الخرافات الذائعة بينها خرافة جديدة ولكن الذي يضرنا ويضير كل الآخذين بمبادئ الطريقة العقلية الحديثة أن يقف نفر من الناس ينادون بالشعوب هلموا الى الخلاص الاخرى من طريق البهائية فانها آخر ما أوحى به للناس . كأن الناس لم يكفهم أن ينال منهم الوحي ذلك المنال القاسى خلال كل العصور الغابرة ، فأخذوا اليوم بمحكون من الخيال خرافة جديدة يسمونها البهائية

ولعمرك لئن كان الدين عبارة عن قوة مما فوق العتل ولا علاقة له بشيء مما في طبيعة الانسان سوى مشاعره وعواطفه وانفعالاته فكيف بالبهائية تكون ديناً وهي تتناول بأبحاثها الاقتصادية والعمرايات ومشاكل الاجتماع الانساني ، بل ولا تتأخر عن أن توحى اليك بما تفعل في بناء القناطر والجسور ؟

لا شك في أن هذا الدين نسيج وحده في تاريخ الانسانية

يحاول فلاسفة الهند أن يخرجوا الانسان من الطبيعة بان يجردوا الروح من اغلال الجسم . فاذا اعتبرنا الروح قوة تحمل في الاجسام الحية كان لامندوحة لنا عن الاعتقاد بأنهم انما يحاولون في الحقيقة أن يقللوا جهد المستطاع من تأثير الجسم في الروح ، لا أن يجردوا الروح من الجسم تجريداً تاماً

الروح والجسم ، وما قصد بالروح الاسر الحياة المودع في الاجسام الحية ، مثلها كمثل المادة والقوة . فاذا استطعنا أن نبرهن على أن هنالك مادة تقوم وجودها بغير قوة ، أو ان قوة من المستطاع ان توجد في غير مادة ، أمكننا أن نبرهن على أن الروح قد توجد في غير جسم حي ، أو أن جسماً حياً من المستطاع أن يوجد بلا روح . فالروح اذن يجب أن تحل في جسم أى في مادة

وماذا يكون من أمر الروح بعد أن تموت الاجسام ؟ ذاك سر لم ينض عنه الحجاب .



من الأكاذيب المتفق على أنها صحيحة أ كذوبة أن الانسان ولد حراً .
أول ما في هذه النظرية من بطلان أن الانسان لم يختار أن يوجد في هذه
الحياة . فكيف به يكون حراً ؟ وكذلك هو يرتحل عن هذه الحياة غير راض
عنها ولا عن الارتحال من بيتها ؟ فكيف به يكون حراً ؟
ثم هو عند حد قول بشار

خاقت على ما في غير مخير هواي ولو خبرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد وأمسي وما أعقبت إلا التعجبا
فكيف به يكون حراً ؟

أفهم ان تكون الحرية معقولا نسبياً لا غير . أما الحرية المطلقة التي تشدها
خياليو الزعماء في الثورات الكبرى ، فهي أكبر الأكاذيب التي استغوت الجماعات
منذ أبعد العصور .

فيلويونس

شجرة الغار

اسطورة قديمة فيها ادب وعلم (١)

حدث في عصر من العصور أن فيضانا عظيما غشى الارض من جميع أطرافها . وكان السبب في هذا الفيضان أن شعبا من الشعوب الانسانية قد أغضب الآلهة ، فما كان من جوبيتر إلا أن يجعل المياه الكائنة في بطن الارض تفور من تنانيرها كما أرسل عليها من السماء حسباناً فتركها قاعا صفصفا . ولم يشأ جوبيتر أن تجف الارض قبل أن يموت كل من عليها من الاحياء . ولأجل أن يحصل الى غرضه هذا حبس كل الرياح التي تهب على الارض ماعدا الرياح الجنوبية وهي التي كانت تسمى « رسل الامطار » فبعث جوبيتر « رسله » هذه لتعصف على الارض من كل جهاتها مرسله عليها زعازع تجلب الامطار والدمار .

ولقد كانت الرياح الجنوبية في ذلك العصر من أفظع آلات التدمير والتخريب اذ كانت كلما تهب تفرغ من السحب مياهها فيتصب مدرارا . وكان وجه ذلك الريح مغطى بقمناح كثيف الليل ، ولحية تفيض بالمياه تنصب كأنها من أفواه القرب ، وأجنحته وأطرافه تقطر ماء . ولقد ساعدته في ذلك آلهة البحار والانهار ، ولم يمض زمان قصير حتى كانت الارض قد غابت عن الانظار تحت مد ذلك الموج العظيم ، وغرق بذلك كل الاشياء الذين زهدت في وجودهم الآلهة أسف جوبيتر بعد ذلك إذ رأى الارض خاوية على عروشها ، فحبس الرياح الجنوبية في سجونها الازلية ، وأطلق على الارض الرياح الاخرى . فهبت الرياح الشمالية المنعشة تعاونها الرياح الشرقية والغربية على الارض حتى جففتها وأحيت موتها . وبعد أن صلحت الارض لان تعيد الحياة أرسل اليها شعوبا أخرى من رجال ونساء لتعمرها .

غير أن المياه بعد ما غمرت الارض زمانا طويلا قد غيرت من عناصرها

(١) جاء ذكر الطوفان في كل الكتب المقدسة تقريبا . وهنا نجد أن هذه الاسطورة ترجم باصاها الى أساطير روما واليونان وربما تكون هذه الاسطورة قد نقلت بنصها اليهم من معتقدات الامم التي سبقتهم في مدارج المدنية

فأخرجت حيوانات عجيبة الخلقة ؛ وكان من بينهم مسخ عظيم الجثة هائل المنظر كرية الخبز حتى انى لا أعجز عن أن أضرب لك بقبحه مثلاً يقربه من مخيلتك . وكان فوق ذلك كثير العناد ذا قسوة وشدة ؛ فأرسل الرعب والفرع في قلوب الناس الذين عاشوا بالقرب من مجاهله التي كن فيها ؛ حيث أقام بين الخراج الملتفة الاعشاب المترعة بالماء .

ولقد بلغ الفرع بالناس من هذا الحيوان حداً لم يجرأ معه أى انسان من أن يقرب ذلك المكان الذى كن يعيش فيه . وفي ذات يوم حضر الرامى « أبولون » وبيده أقواسه وسهامه اللامعة وقتله بعد موقعة شديدة . ففرح الناس وأخذهم المرح ؛ وأقاموا عيداً أولموا فيه الولاثم لآبولون . غير أن أبولون كان قد أخذ الزهو وملاؤه الخيلاء ؛ فلم يغادر هذه الارض حتى كان الكبر قد فعل بنفسه فعلاً ذريعاً ولم يرض في سبيله غير بعيد حتى التقى بكوبيدوس حاملاً قوسه وسهامه المسددة . وكوبيدوس هو إله الحب الصغير ؛ وكان يسمى في بعض الاحيان آله « القوس » واليك ما يظهر على ما كان فى أقواس كوبيدوس من عجب عجاب .

كانت بعض أقواسه مدببة الاطراف مصوغة من الذهب انخالص . وكان الذى يسدد اليه سهام من هذه السهام فيصيبه ؛ يقع فى شرك الهيام والحب . وكان البعض الآخر مصبوباً فى صرقان تارز شديد ؛ فاذا أصاب أحدها ؛ غرس بذور العداء والبغضاء . وسترى الآن ماذا كان يعمل كوبيدوس بهذه السهام الغريبة .

فلما التقى أبولون بكوبيدوس وهو مسلح بهذه السهام ؛ أخذ كوبيدوس يسأله : ماذا تصنع بهذه السهام ؛ ودل عليه مكتبراً فى غير تواضع ولا احترام . فأجابه أبولون — « ان هذه هى أسلحتى ، ولقد قتلت بها مسخاً هائلاً مخيفاً . تقدم الى يا كوبيدوس وسلمنى هذا القوس الذى ليس لاحد من حق فى ان يحمله غيرى . »

كان كوبيدوس آلهاً صغيراً سريع الانفعال شديد التأثير ؛ فصاح أبولون

المصور — ١٠٢٤ — مخارطة
سحابة شجرة الفس



أبو لاد و دد

صبيحة الغضب قائلاً — « إن سهامك إن كانت تخترق كل الأشياء، فإن سهامى
في استطاعها أن تجرحك جراحاً لا يبرء لك منها . »

واختفى كوييدوس بسرعة البرق . وهو يفر في طريقة تجعل أبولون يعرف
أيهما أحد سهاماً وأهدى مرمى . وبعد قليل اهتدى الى مكان كانت تقطنه
حورية جميلة ، وتظل تطوف بارجائه ليلاً ونهاراً . وهنا اهتدى كوييدوس إلى
ضالته ، فسدد الى قلبها سهماً من الصوفان ، فشعرت الفتاة أن قشعريرة ملأت
جسمها ، ونظرت لترى السبب فيما حدث ، فرأت ثياب أبولون الذهبية تتدلى
في فرع شجرة باسقة . وراه كوييدوس ، وبحركة تحاكي حركة البرق سدد الى
قلب أبولون سهماً من السهام الذهبية . واختفى فجأة مشبهاً في نفسه
تهمة الانتقام .

وفعل السهم الذهبى فعله من قلب أبولون . فانه لم يكذب ذلك الآله الكبير
يرى « دفتى » تلك الحورية الحسناء ، حتى وقع من شرك غرامها . أما « دفتى »
فقد قابلت ذلك الحب المحرق ببغض شديد وكراهية ، ومضت تفر من وجهه كما
تبعها تطوف أنحاء الغابة المتسعة المترامية الاطراف .

وأخذ أبولون يتبعها أينما سارت مهيباً بها أن لا تخاف ولا تجزع ، وقد أخذه
عليها الوجع أن يصيبها من الاشواك والفصوص الملتفة مايؤلها .

« لا توجل ولا تفرى منى . انى أحبك ولست بمنزل بك ضراً . انى الآله
ابن الشمس . أنا أبولون . »

غير ان دفتى لم تزد مع سماع هذه الكلمات الا وجلاً ، وأسرعت في الاختفاء
عن نظره ، بينما كان أبولون يتبعها أينما سارت

وكاد أبولون أن يلحق بها ، فمدت ذراعيها مستنجدة بأبيها آله ذلك النهر الذى
كانت تعيش دفتى على ضفافه . « يا أبى أقتدى . أقتدى فشق الارض واجعلها
تبتلعنى ، أو بدلى من صورتى هذه صورة أخرى يبغضها أبولون »

ولم تكذب دفتى تنهى من ابتها لها حتى ثقلت أطرافها وأخذت بشرتها تكسى بمادة
أشبه باللحاء . وبدأ شعرها يستحيل الى أوراق أشجار ، وسبواعتها الى أغصان ،

وأقدامها التي كانت تحملها هرباً من أبولون إلى جذور غاصت في الأرض ، فقد
أجاب أبوها إبتها لها ، ودسها فكانت شجرة الغار
ولما رأى أبولون أن دفني محبوبته الجميلة قد استحوالت شجرة بكي . وأخذ
يرمي جذعها بسهامه قائلاً :

« أما وقد استحوال على أن تكوني لي زوجاً ، فلا أقل من أن تكوني شجرتي
وأن تكون أغصانك تاجاً تتوج به رؤوس الغزاة والفاتحين ، وأن تظل مخضرة نعمة
صيفاً وشتاء »

وكان ما شاء أبولون . فاصبحت شجرة الغار منذ ذلك اليوم رمز الشرف
والانتصار . فإذا سمعت بعد اليوم أن رأساً توج باغصان الغار ، فارجع بذاكرتك
إلى أبولون ودفني ، وأرسل نجيمة إلى ذكرى الحب يقابله البقش ، وإلى ذكرى
الانتصار ، تقابله الذلة والانكسار .

تمثال النهضة

الاحتفال بزيارة الستار عنه في ٢٠ مايو سنة ١٩٢٨

مهما قيل في تمثال نهضة مصر ، ومهما كان من أمر اختلاف الأحزاب على تحديد معنى النهضة ، فإن التمثال قطعة فريدة من الفن الناطق بعظمة الفكرة التي تقوم في نفس الشعب المصري وتطلعه إلى أن يتبوأ مكاناً يليق بتاريخه الخالد بين شعوب الأرض . وليس لنا أن نزيد هنا من شيء على ما جاء في خطبة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا . فقد ألم فيها بأسمى المعاني التي من أجلها تكونت الفكرة من إقامة التمثال . ونحن نتقل هنا هذه الخطبة بحروفها تسجيلاً لذكرى ذلك اليوم المشهود :

خطبة رئيس الوزارة

يا صاحب الجلالة .

إن في تفضلكم يامولاي بتشريف هذه الحفلة لمعنى سامياً جليلاً ؛ جدير بجلال شخصكم ومجد بلادكم ، فإنه لتوفيق من الله تعالى ونعمة منه على مصر وشعبها أن يكشف النقاب عن تمثال نهضتها أول ملك دستوري رقى عرشها وأرفع صانع من صناعات مجدها ، وأن تحتفل الأمة المصرية على اختلاف طبقاتها حكومة وبرلماناً وشعباً بتخليد نهضتها في تمثال أصبح منذ اليوم مثلاً حياً مجيداً ، يوحى وحي النهضة إلى المصريين مهما تعددت طوائفهم ، وتعاقت أجيالهم .

مولاي .

لم يكن بد التمثال المصري ، وقد أراد أن يرمز بفنه إلى مصر الخالدة من أن يجمع في فكرته بين العصور متعددة ، والازمنة متعاقبة ؛ ليمثل أمة ولد التاريخ في أحضان مجدها ؛ وما كان التمثال في مظهره الفني ، ومعناه الوطني إلا صلة تجمع بين أدوار التاريخ المصري ؛ غايه وحاضره وقابله ممثلاً من الماضي مجده ومن الحاضر جده ، ومن المستقبل أمه ؛ ومصوراً مصر الفتاة وهي تنهم بأبى الهول لينهض بها وتنهض به ملقبة ببصرها إلى قديم صولتها ، بترسمة ذكرى العلاء في

وثبتها، ولا عجب، فإن كان لامة من غابرها ما يبرر حاضرها، فهذه الامة هي مصر،
مولاي

ان نهضة مصر لا تقرأ في صفحة واحدة من كتاب الدهر، بل هي كتاب
صفاته، السنون والاجيال؛ فقد نهضت مصر والدهر لا يزال في طفولة عمره،
وانبتق فجرها والتاريخ لا يزال حائراً بين لياله وفجره؛ فكانت منذ القدم مهد
المدنية؛ ومنبع الحكمة البشرية؛ وظلت تتابع مجدها مع تتابع الأحقاب حتى
أصبحت سيدة بهاب العالم ساطعها؛ ومعلمة يستمنحها عرفانها. ثم انتشرت
الحضارة والحكمة منها الى اليونان فروما فدولة العرب الزاهرة فأوروبا، وهامى
مصر الحديثة تسترد بعض ما أضاعت وتستفيد كما أفادت؛ مثبتة أن تلك الحيوية
العجيبة التي ظلت نامية ألوفاً من السنين لا تزال كامنة في نفوسنا؛ وان المجد
القديم الذي لم تقو يد الحادثات على محو آثاره لا يزال رابضاً في مطامحنا، متحفراً
في جهودنا.

ولقد أتاح الله لمصر الحديثة عظيماً من عظماء التاريخ في شخص ساكن
الجنان مؤسس العائلة العلوية الكريمة محمد علي الكبير، فنفت من روحه في
روحها، وتعهد بعقريته بعقريتها؛ حتى أصبحت مصر الحديثة مدينة له بكيانها
ورفاهيتها. وتلاه أسلافكم الكرام مترسمين آثاره في التجديد والاصلاح؛ وفي
مقدمتهم والد جلالكم ساكن الجنان اسماعيل باشا خديو مصر؛ الذي كان له
أكبر الفضل في نشر التمدن الحديث وما استتبعه من أفكار ونظم حديثة؛
فصدق على مصر قوله المأثور «ان بلادى لم تعد جزءاً من أفريقيا بل هي قطعة
من أوروبا» لقد سارت الامة من ذلك العهد في سبيل التطور والرقى الى أن
لاحت بشائر عهدكم السعيد، فخطوتم بامتكم خطوات واسعة في سبيل الحرية
والدستور، وما تطمح اليه من رقى أدبي ومادى معاً، مما جعل عهدكم عهد حرية
وعدالة ونهوض.

مولاي

بعد أن وضعت الحرب أوزارها • وأدركت الشعوب أن أعلى وأسمى

ما تطمحنت من أجله هو استقرار العدالة في مقرها ، نهضت مصر نهضتها الرائعة
فببت تطلب الحرية والاستقلال لأبنائها ، والهناء والرفاه لأزلائها ، مطالبة
بالدخول في حظيرة الأمم على قاعدة المساواة والود معانة كتمتها سلاما لاختصاصها ،
معتصدة بتلك الحقيقة الخالدة وهي أنه ما من أمة تشقى نفسها وتسعد نفسها ، بل
هي جزء من كل يشقى بشقوقها وينأ بنهائها .

ومن أول يوم أهاب بالامة المغفور له سعد باشا زغلول داعي النهضة وحامل
لوائها وهو يقرر تلك الحقائق الخالدة بما أوتى من قوة الحجج وبلاغة التعبير ، حتى
لاحت فكرة النهضة متلاثلة باهرة ، وظهرت الامة نفسها موفقة مظففة ، تعيش
في تاريخ عظيمتها ، رافعة عمال نهضتها ، متفيدة ظلال مايكها .

ولم يكن عجباً أن اقترنت النهضة السياسية بنهوض في جميع الحياة المصرية
فما كانت الحرية — وهي روح من عند الله — لتقبل تجزئة أو تحتمل أغلالاً في
أى ميدان من ميادين نشاطها ، ولقد تراحم المصريون رجالاً ونساء ، حول
مورد الحرية العذب وانتهلوا منه كفايتهم ، فتحررت عقولهم وميولهم وكبرت
مطالبهم ، مما كان له أثر بالغ في كل مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية ،
والعلمية والفنية . فبلغت مصر الناهضة في سنوات معدودات ما لم تبلغه في
عشرات من السنين .

ولم يكن لينقص تلك النهضة الفيحاء الافنان من أبنائها ، بل نجد بفن ما يوحى
اليه شعوره من جمال النهضة وروائها . فكان المثال محمود مختار خريج مدرسة
الفنون الجميلة العليا بباريس هو ذلك المصرى الذى وفق إلى تخليد النهضة بوحى
فنه ، فأبرز الفكرة عمالاً ، وألبسها جمالاً وجلالاً .

وما كادت فكرة مختار تبرز في صورة مادية هي النموذج الذى وضعه في
باريس في سنة ١٩٢٠ حتى عرض النموذج المذكور في معرض الفنانين الفرنسيين
فحاز الاعجاب وأجازته عليه لجنة المحكمين في المعرض المذكور .

وعلى أثر ذلك تألفت لجنة برئاسة المغفور له حسين رشدى باشا وعضوية
حضرات أصحاب المعالي والسعادة والعزة .

الاستاذ ويضا واصف ، واصف غالى باشا ، محمد محمود خليل بك ، الدكتور حافظ عفيفى بك ، الدكتور فؤاد سلطان ، عبد القوى أحمد افندى ، المرحوم أمين الرافعى بك .

ودعت تلك اللجنة الى اكتباب عام لأقامة التمثال فى أحديادي العاصمة فكان إقبال المصريين عليه مظهراً للشعور الوطنى والاهتمام الذى أثاره هذا المشروع فى جميع الطبقات . ثم سعت اللجنة لدى الحكومة المصرية فقررت منذ سنة ١٩٢١ إقامة التمثال فى ميدان باب الحديد ومنحته الحكومات متعاقبة والبرلمان ، الاعتمادات اللازمة لانجازه .

ولقد وقع اختيار الممثل بالاتفاق مع اللجنة على حجر الجرانيت المستخرج من اسوان لنحت التمثال عليه ، فكان أول مثال نحت من الجرانيت من عهد الفراعنة الى الآن ، إذ أن صلابه ذلك الحجر حملت الفنانين منذ العصر الرومانى على أن يعدلوا عنه الى غيره من المواد المرنة . وبالرغم من ذلك فقد كان المصريون لا ينيحتون تمائيلهم الكبيرة الا من ذلك الحجر مما دل على استعداد يكاد يكون معجزاً في فن النحت وأدواته .

والتمثال منحوت من حجر الجرانيت ذى اللون الوردى ومقام على قاعدة من الجرانيت الاسود ، وبعد اعداد هذه الاحجار الضخمة فى اسوان نقلت الى القاهرة فى شهر يونية سنة ١٩٢٢ وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٢ انتهت عملية نقل الكتلة الكبيرة منها بطريق النيل ؛ وقد بلغت زنة الكتلة الواحدة منها خمسة وأربعين طناً .

وفى صيف سنة ١٩٢٧ تم الاتفاق بين وزارة الاشغال والمثال مختار على إتمام الاثر وتسليمه فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ ، الا أن الجهد الذى بذله الممثل أمكنه من البر بتمهده قبل الميعاد المحدد بنحو ستة شهور ؛ وهما هو اليوم فى مظهره الرائع الجميل دليل ناطق على نهوض الفن المصرى وعلى عظمة النهضة المصرية وتعدد نواحيها .

مولاي .
ان أمتكم الأمينة قد أقامت نهضتها على أركان وعمد من الاخلاص والعزم

وستبقى تلك النهضة المقدسة بعون الله وفضل رعايتكم موحدة الارادة في الامة
أفراداً وجماعات ! طوائف وديانات مبيدة لاصول الفرقة والشئات وانا لنتعهد
أنفسنا بتذكركم ما سهل الله لنا من صعاب وذال من عقبات ، شاكرين له تعالى
نعمته هذا اليوم الذي أقيم فيه تمثال النهضة علماً على الحق الغالب ، ومثالاً للشعب
الناهض ، ورمزاً للحرية والاستقلال .

كلّاكم الله يامولاي بعنايته ، وأبقاكم الامة ذخراً وللنهضة فخراً ، وأقر عينكم
بولى عهدكم وأيد الامة في ظلكم .

وصف الحفلة

منذ الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم الاحد حشدت قوات الجيش
والبوليس المنتدبة للمحافظة على النظام في ميدان محطة العاصمة أثناء الاحتفال
بازاحة الستار عن تمثال نهضة مصر موزعة في جوانب هذا الميدان وعند مفترق
الطرق المؤدية اليها وعلى طول الطريق المؤدى الى قصر عابدين .

ومنذ هذه الساعة أيضاً صارت حركة قطارات الترام الآتية من العتبة
الخصراء عن طريق شارع كلوت بك إلى السبتية وشبرا وروض الفرج معطلة
وكذلك حركة ترام مصر الجديدة من محطة كبرى الليمون الى قلب القاهرة .
ووقف بأبواب السرايق الكبير الاربعة بعض ضباط البوليس . ووقف بالباب
الاول المواجه لقسم الازبكية فريق من رجال الحرس الملكي ؛ لاستقبال صاحب
الجلالة الملك .

وأشرف على النظام سعادة اللواء رسل باشا حاكمدار العاصمة . وهو ممتط جوادا
وراضعاً فوق رأسه قبعة طاف بها أنحاء السرايق ماشياً فستاء الكثيرون من
وجود حاكمدار بوليس مصر متقبلاً في حفلة مصرية يحضرها جلالة ملك مصر
وزرائه وأعضاء البرلمان . وأبدى بعض كبار المدعوين هذه الملاحظة لموظف
كبير في وزارة الداخلية . وكأنه لفت نظر الحاكمدار الى ذلك ، فغاب عن الاعين
وقتاً عاد بعده متطرباً .

وقبل حضور صاحب الجلالة الملك طاف صاحب السعادة محمود باشا فهمي

القيسي مدير الامن العام ومعه أصحاب العزة اسماعيل شيرين بك وكيل محافظة العاصمة بانحاء السراشق .

ولم يحضر الحفلة أحد من أصحاب السمو الامراء ولا من أصحاب المجد النبيل ، وكذلك لم يحضرها أحد من أصحاب الدولة رؤساء الوزارات السابقة . وحضر من الوزراء السابقين أصحاب السعادة توفيق دوس باشا ومحمود عزمي باشا وتوفيق رفعت باشا ، وابي الدعوة ستة من العلماء .

وفي الساعة الخامسة والثلاث حضر صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا فوقف الجميع لدولته إجلالا واحتراما وقد صافح الكثيرين من كبار المدعوين وفي مقدمتهم وزراء الدول المفوضون ، وعقيلاتهم .

وفي الساعة الخامسة والدقيقة الـ ٢٥ حضر صاحب الفخامة للورد لويد ، وفي معيته الكابتن فلوريديا وره الخاص ، فصافح دولة الرئيس وأصحاب المعالي الوزراء مصافحة ودية ، ثم حيا المدعوين وصافح باليد فضيلة الشيخ بنحيت مفتي الديار المصرية سابقا .

وفي الساعة السادسة والدقيقة الـ ٣٥ سمع تصفيق حاد في خارج السراشق فكان ذلك إيذانا بقدم صاحب الجلالة الملك . ونزل جلالة من سيارته أمام المقعد الذهبي الكبير المعد لجلالته . وقد صافح جلالة أصحاب الدولة والمعالي الوزراء والاستاذ رئيس مجلس النواب هاشا باشا ثم جلس وحوله جميع كبار موظفي القصر وعلى رأسهم دولة نسيم باشا وجميع رجال ديوان كبير الامناء وعلى رأسهم معالي سعيد ذى الفقار باشا ومعهم صاحب السعادة محمود شوقي باشا صكرتير جلالة الخاص .

واعتلى صاحب الدولة رئيس الوزراء منصة الخطابة التي أقيمت في الجهة اليسرى على بعد مترين من المقعد الملكي . وما كاد دولته يعتلى منصة الخطابة حتى تفضل جلالة الملك بالاعتدال في جلسته وانجه اليه بكايته ، وساد السكون التام إذ أنصت المدعوون باسماهم الى دولته ، حيث ألقى خطبته بصوت قوى ، ولسان عربي فصيح

ولما ذكر دولته اسم الفقيد الكريم المغفور له سعد زغلول باشا محيي النهضة المصرية وزعيمها، سرت بين الجميع لواعج الحزن والأسى على فقدته قبل هذا اليوم ؛ يوم تخليد ذكرى النهضة ، بتمثال النهضة ؛ ولما انتهى دولته من خطبته التاريخية الوطنية دوى السراشق بالتصفيق الحاد وتفضل جلالة الملك فصافح دولته مرة ثانية وشكره

وتقدم بعد ذلك الى منصة أخرى على بعد ثلاثة أمتار أمام المنعد للملكى الأستاذ على أفندى الجارم وألقى قصيدة صاحب العزة احمد شوقي بك وبعده تقدم صاحب المعالي ابراهيم فهمى بك وزير الاشغال بين يدى جلالة الملك وتلقى من جلالته أمراً بازاحة الستار عن التمثال. فأعطيت الإشارة بذلك إلى رجال مطافئ الحريق الذين تولوا ازاحة الستار بشد الحبال وقد علا التصفيق الحاد فى داخل السراشق وخارجه عند ظهور التمثال

وتفضل جلالة الملك فامر باستدعاء الأستاذ محمود مختار . وكان جالسا بين مندوبى الصحف. وقد قدمه صاحب المعالي على الشمسى باشا وزير المعارف الى جلالته . فصافح الأستاذ مختاراً وقال له : « أهنيك يا أستاذ مختار »

وانصرف على أثره صاحب الدولة رئيس الوزراء فى سيارة مفتوحة فاستقبلته بالهتاف العالى والتصفيق الحاد الجماهير الغفيرة المزدهجة فى خارج السراشق . وقد حيت هذه الجماهير وزراء الشعب ورئيس مجلس النواب تحية صادقة مخلصه وانصرف المدعوون وبذلك انتهى الاحتفال الرسمى وتدفق سيل الجماهير على السراشق لمشاهدة التمثال ، وكان الأستاذ مختار واقفاً عنده مع بعض أصدقائه فهتف الشعب بحياته

وقد استغرق العمل فى ازاحة الستار بضع دقائق والسبب فى ذلك يرجع الى أن المحل التجارى الذى عهدت وزارة الاشغال أمر اسدال ستار حبرى على شكل مربع حول التمثال اذا ماشد شريطه ظهر التمثال. لم يحسن المهمة التى عهدت اليه فضلاً عن تأخره فى أدائها وقد اعتذر بعدم وجود عماله فى يوم الاحد وعلى الرغم من كل هذا كله فقد كان الاحتفال بالغاً منتهى الرونق والبهاء

بين الصحف والمجلات

١ — مجلة الحديث — حاب سوريا — من مقال بعنوان الفلسفة ودراساتها للدكتور منصور فهمي معيد دروس الفلسفة في الجامعة المصرية :

الظاهر أننا لانزال ننظر في الفلسفة تلك النظرة التي تبعدنا عن حقيقةها بعداً تاماً . فقد ننظر فيها على اعتبار أنها من الامور الجدلية الصرفة التي تنزع بنا دائماً الى عالم من الغيبيات والسلب . وقد ننظر فيها كأنها مسائل عملية صرفة تبعد عن الفلسفة بقدر ما يبعد العلم عن الفنون . نقول هذا بعد أن قرأنا لمنصور افندي فهمي كلاماً في الفلسفة أخرج به مفهوم الفلسفة عن التأمل وهو مدارها وسنادتها ، وأدخله في منطقة العلوم الاختبارية الصرفة . ولم يقم على حقيقة منزعها من داييل ، بل ولم يشرح مذهب اليه شرحاً يظهر حقيقة ما يفهم من الفلسفة . واليك مقال :

« الفلسفة يجب أن تدرس من غير تفريط في الجهة العلمية التطبيقية ، وفي استطاعة الفلاسفة أن يكون لهم مختبراتهم ومعاملهم Laboratories ان العلماء مختبرات ومعامل . تجد هذه المختبرات في مستشفيات الامراض العقلية وفي كثير من التجارب على الانسان ، وهوفي شؤون عيشه المادي من حبه وبغضه وانتقامه وحرزه الى آخر ذلك من الحالات النفسية . »

« ويستطيع الفيلسوف — كما يستطيع الدكتور بالطبع — أن يجد لعمله مختبراً ذا خطر في مظاهر الفنون الجميلة المختلفة من موسيقى وتصوير ونحت الى غير ذلك وفي كل ما يحدثنا عن الجمال . ولقد رأيت اني لجأت الى الموسيقى عند دراسة الفيلسوف نيتشة وفاجنرومن فهمهما لمعنى الفن الجميل ما بررت به الخانة وبعض التوقيعات الموسيقية في بعض الدروس . ويمكن لمدرس الفلسفة أن يجد فرصاً كثيرة لربطه دراسته بمظاهر الفنون المختلفة . وعندى أن هذا المحاولة التي أحاولها من توثيق التضامن بين الموضوعات الفلسفية والمظاهر الفنية لى من أترك المحاولات وأنفع

التجارب التي تمكن للفلسفة مكانها اللائق في نفوس الاحياء الذين يريدون أن
يشعروا بالحياة من جهالها ويصلوا بين هذا الشعور وبين فهم الامور ، وما لفهم
لحقيقة من عظمة وقوة . »

*

* *

وكيف لا يكون للدكتور منصور فهمي مذهب في الفلسفة يسميه تواضعاً
وانكساراً محاولة ، مادام للدكتور طه حسين في الادب مذهب ديكارتي ؟ ولماذا
لا يكون لمنصور في الفلسفة ما لطفه في الادب ؟ هل ما كتب منصور في تاريخ
محمد يقل عما كتب طه في بن خلدون ، وكلاهما نال ببخته الدكتوراه ؟ ألم يتقنا
في « الدكتور » ؟ فلماذا ينفرد أحدهما بأنه صاحب مذهب ، ويبقى الآخر غفل
من « المذهبية » ؟

ولماذا يخطيء طه حسين في مذهبه الادبي فيعتمد على ديكارت وينقل
مذهبه مسوخاً فيأخذ بظاهره دون لبه ، ويماشي شك ديكارت من غير أن يمر
أحكامه الوقتية التي أسماها « أحكاماً وقتية لضبط النفس » أقل اهتمام ، ولا يخطيء
الدكتور منصور فهمي في نقل مذهب برجسون الذي ينشره من بين جدران
السوربون فيقول بان من الواجب أن يكون للفلسفة معامل ومختبرات يبحث الجمال
فيها في أنابيب وتحت عدسة الميكروسكوب ، ويحلل فيها الفن بشتى الاحماض
الكيمائية ؟ أليس كلاهما دكتور ؟ فلماذا يخطيء أحدهما ولا يخطيء الآخر ؟
ولماذا تظل الفلسفة كما كانت وكما ستكون راجعة الى قوة التأمل في الانسان ،
ولا يرجعها الدكتور الكبير لقوة التجربة والاختبار ؟ لماذا ؟ وأي مانع يمنع هذا
وأى حدث ينال كفايات العقل الانساني اذا اختلط فيه التأمل بالتجربة ليخرج
من المزيج فلسفة يقول فيها منصور فهمي إنها محاولة « من أبرك المحاولات »

يا لله ! ! كيف يكون لكثير من الجامعات مذاهب فلسفية يقصر الغرض
منها على هداية النوع البشري ولا يكون لجامعتنا المصرية مذهب يقصده هداية
جميع الاحياء ، من الاميبا الى الشمبنزي والانسان ؟ ألم يقل الاستاذ إن محاولته

في الفلسفة من « أترك المحاولات وأنفع التجارب التي تمكن للفلسفة مكانها اللائق من نفوس (الاحياء) الذين يريدون أن يشعروا بالحياة ؟

نأمل أيها الباحث قليلا في الاحياء الذين يريدون أن يشعروا بالحياة ! ألا تشمل كلمة الاحياء ، في عرف العلماء الذين يحاول الدكتور أن يتشبه بهم في فلسفته ، كل ما اتصف ببضعة صفات أولية تكون في مجودها الحياة ؟ إذن فلسفة الدكتور الحديثة يصح أن يقصد بها هداية الاميبا الحية في حياتها الدنيا كما يصح أن تكون نبراسا يهتدى به النوع البشرى .

الحمد لله ! ! لقد أصبح لجامعتنا مذهباً فلسفياً جديداً ، نفاخر به برجسون في السوربون وديوي في جامعات امريكا . مذهب يرشد كل الاحياء الذين يريدون أن يشعروا بالحياة !

على اني أريد أن اسأل الدكتور الكبير هل هنالك احياء يريدون أن يشعروا بالحياة وأحياء لا يريدون أن يشعروا بها ؟ فليأتنا بمثال زادنا الله من فضله فضلا ، ومن علمه علماً ، ومن محاولاته محاولة جديدة تعيد عماء الفلسفة الى نظام ، وتغير مجرى العقول والافهام

على اني ياسيدى الاستاذ قرأت لغيرك من أساتذته الفلسفة مذهباً لا مربية في أن مذهبك أو محاولتك سوف تبرزها وتقضى عليها قوة حجة ومثانة أسلوب . ولكن هل تسمح لي ياسيدى أن أسرد لك شيئاً مما يفهم استاذ من كبار أساتذة العصر الحاضر الذين كتبوا في معنى الفلسفة وتحديد مراميها ، ولا يزال قوله الى الآن عمدة - غيرك بطبيعة الحال - من أساتذة جامعات أوروبا ، الذين لم يصلهم نبأ محاولتك حتى الآن ؟

الاستاذ الذي أنقل اليك عنه هذا الكلام يدعى « جون تيودور مرتز » كتب تاريخاً في « الفكر الاوروبي » - وحاول - أن يحدد معنى الفلسفة فقال

« يقال إن العلم ذا صفات ثلاث . تام ، ايجابي موضوعي . وأن الفرق بينه وبين سمور الفكر الاخرى ان هذه غير تامة ، مبهمه ، ذاتية .

Subjective ان العلم يؤدي للعقل نواتجه أو فكراته في اصطلاحات محدودة بالتعريف ، رمزي في قوامه ، غير مباشر المعنى والتعبير . ان العلم ليسلم بأن ليس له من دعامة الادعامة المعرفة على أن تكون بيئة جنسية تامة الوضع . لهذا تجده معانداً في طبيعته لنواحي الفكر المرتكزة على الآراء والاعتقاد والايان . ولا يغيب عنا أن هذه المصطلحات أما أن تشير الى الاسلوب الذي ينتج في البحث . وأما أن تشير الى موضوع البحث ذاته . أما العلم فيعترف بأن له أسلوباً ثابتاً لا يحتمل الجدل ولا يسم التورط في المسائل الخلافية النظرية . وأما بقية فروع الفكر ، فاما أن تستعير أساليبها من الأسلوب العلمي . وأما أن تطبق أساليب متغايرة لم يجمع عليها الاجماع كله ؛ أو تأتي الخوض لأسلوب ما على وجه عام . »

« اذا بلغنا هذا المبلغ أمكننا أن نقول بأن وضع حد للتفريق بين موضوعات بحثنا أصبح مستطاعاً . فالعلم يتناول كل الاشياء أو الموضوعات التي تطارأ على أذهان السواد الاعظم من الناس أو تمس مصالحهم ، وهي موضوعات قد يبلغ الى الاحاطة بها كثير من الناس . ولهذا يفخر العلم بأن مشاهداته واستنتاجاته خاضعة دائماً للتحقيق والبحث اذاً بعد آن . لذلك نجد أن شطراً عظيماً من المشاهدات والاستنتاجات العلمية قد تؤخذ في أكثر الاحيان على انها حقائق تامة أجمع على صحتها وثباتها ، فيمضي الذين لا يأنسون من أنفسهم القدرة على تمحيصها وبحثها ، أو الذين تتعد بهم المهمة دون فحص براهينها ، قائلين بأنها أشياء بديهية ثابتة لا مبدل لها . غير أن هنالك أشياء كثيرة تقوم في عقل كل فرد من الافراد ، شخصية في طبيعتها ، ذاتية في معيها . ولهذا الاشياء في أنفسنا من الشأن أن وانظر ما لغيرها من مطالب الحياة وحاجاتها . ان هذه الاشياء تكون المسادة الحقيقية التي يتركب منها الفكر الخارج عن ميدان العلم ؛ وهي في جوهرها ومظهرها مناظرة للعالم اليقيني . وفي هذا الشطر من الفكر لا يستطيع شخص بذاته أن يقوم بعمل ينتفع به الكثيرون ، على نفس الطريقة التي تتخذ في العلم . فالأخذ بالبرهان في ذلك الشطر مستحيل . والاجماع على شيء فيه لا يضم تحت

لوائه الا عدداً قليلاً من الناس. فلا أقوال والنظريات لا يمكن أن تؤخذ في هذا الشطر على أنها حقائق ضرورية لا تحتل الجدل كما هي الحال في العلم ؛ بل ان كل شخص لابد من أن يجتاز فيها السبيل الذي اجتازه الذين تدموه ، قبل أن يأنس من نفسه القدرة ؛ أو يجد لنفسه حقاً ؛ في قبول ما أنقضى إليه أو الانتقام بشمراته .

« ان الصفة الوحيدة التي تلازم ذلك الشطر من الفكر انه فردى ذاتي ؛ في حين أن العلم ؛ مهما كانت صبغته ؛ ومهما كان أصله ؛ عام موضوعي . فاذا تمثلت الفكر بشيء ذي طرفين متناظرين ألفت أن العلم الرياضي في أحد طرفي الفكر ؛ وان الدين في الطرف الآخر . وانك لتجد أن الاتفاق في الطرف الأول صفة ، لازمة ؛ كالاختلاف في الطرف الثاني . تلحظ أن وحدة الفكر صفة ثابتة في الطرف الأول . في حين أنك ان تقع لها على ظل في الطرف الثاني . انها لم تعرف في الدين وان تعرف . وانك اذا أردت أن تعبر عن ذلك بالكلام الدارج لاستطعت أن تقول ان المعرفة والتحقيق لزام الطرف الأول وأن الايمان والاعتقاد لزام الطرف الثاني . على أنك فيما بين الطرفين تقع على مسافة كبيرة من الخلف تفصل بينهما . ان هذه المسافة ليفشاها من الفكر صور تصل بين الطرفين ؛ تبرز حيناً في هيكل من المعرفة ؛ وآخر في مثال من الايمان ؛ فيختلط فيها قليل من الاشياء المحققة ؛ بكثير من الايمان والاعتقاد المبهم . تلك المسافة الكبيرة ، وهذه المفارقة المنزمية الاطراف ، والتي تتوارد عليها صور التباين والاختلاف سريعة متعاقبة ، هي سكن الفلسفة الحقيقي ، ومنبتها الاصلى . الفلسفة التي تتناول الحقائق ، ولا تأنف من الايمان . الفلسفة أصل المعرفة ، ومنبع الاعتقاد واليقين . الفلسفة حلقة الوصل الواقعة بين الطرفين ، طرف العلم اليقيني ، وطرف الدين . »

« ولو كانت كل فكراتنا قائمة على الرياضة الصرفة ، راجعة الى العدد والقياس والتقدير الحسابي ، أو كانت دينية صرفة ، لاتنظر الا في مصالحنا الذاتية وبعثنا ذاتنا الخاصة ، لما كان لنا من حاجة الى وسيط يقوم بعبء التفاهم بين الطرفين ويصل

بين المتناظرين ، ولما قام في عقولنا خلاف بين الاشياء المحققة ، وبين المعتقد
الذاتى . غير أننا لا نثبت أن نعكف على القواعد الرياضية ، أو نعمل على إبراز
معتقداتنا الى حيز العمل ، حتى تدركنا صورتا الفكر الاخرتين وتلزم الاحتكاك
بمصالحنا ، فنشعر اذ ذاك بضرورة الكشف عن نظرية أو مذهب يمنع التصادم
بين الاطراف المتباينة ، ويسير كل الاطراف في طريق يمتنع فيه احتكاك بعضها
ببعض . على أن الظروف التى تنتج مثل هذا الاحتكاك اذ تختلف باختلاف
حاجات الحياة العملية ومطالبها ، وتتباين بتقدم العلم العملى ، كان تغير تلك
النظريات والمذاهب ومضيقها معنة في التطور والتباين أمراً محتوماً بحكم ذلك .»

* * *

هذا ما تعلمته من ذلك الاستاذ « مرتز » ولكن كيف تكون الفلسفة عبارة
عن تأمل هو بمثابة حلقة وصل بين العلم والدين ؟ كلا . إنها مسائل تجريبية
اختبارية مدارها المعامل التى يشرح فيها الجمال ويحلل الفن فى الانايب ؟ أليس
كذلك ياسيدى الاستاذ ؟

لا شك فى ان تيودور مرتز ومن تلقى عنهم مخرفون . ولا شبهة فى أن كنفجهم
وروسل وديوى وبرجسون افاكون مسترزقون ؟ والا فكيف يقولون بأن التأمل
منبت الفلسفة ، وينكرون معامل الفلسفة وتشريح الجمال وتحليل الفن كياوياً
وميكروسكوبياً ؟

قيل بأن مدينة من المدن جن أهلها جنوناً أدى بهم الى الاعتقاد بأن شرب
الماء مفسد للصحة مبيد للحياة . فبأل الملك أحد وزرائه ، ولم تكن طيفة الجنون
قد لحقت به بعد « أيهما الجنون ؟ مخالفة الناس والرجوع الى الحق او التمشى معهم
فى الباطل » فقال له أيها الملك « الحقيقة ان الشرب ضرورى للحياة . ولكن
من ذا يستطيع أن يقول للناس أنتم فى جنون » ؟

وحاشا لله أن يكون مثلنا مع الاستاذ كمثل الملك مع مدينته . بل نرغب من
كل جوارحنا أن يكون مثلنا كمثل المدينة التى جنت مع ملكها العاقل ، على شرط
أن يقيم لنا الدليل على صحة دعواه

٢ — السياسة الاسبوعية (١) تحت عنوان « تقرير من اكاديمية العلوم » بين عنوانين مهمين هما مقل « من أعمال المرأة في الغرب » و « خاطره في الضمير الانساني » نرى عدد ١٩ مايو قد رصع بهذا العنوان « العلم الفنى » واقسم لك بأنه لولا اننى قرأت تقرير الاكاديمية هذا في جميع الجرائد بين مختلف الاعلانات وعلى أبواب البارات لظننت أن البيرة الوطنية ضرورية للحياة كيف لا وقد ضنت الاسبوعية حتى بتذييل « مقالها العلمى » برقم الاعلان ولم تضعها بين اطار مثل « أول مصنع للنظارات فى الشرق »

اعرف أن اغفال التنبيه على أن المقالة العلمية المذكورة ليست غير اعلان عن ماء شعير يخمر بين نعال قديمة في براميل يعود على السياسة بمال اكثر مما لو وضعت المقالة بصورة تبين انها اعلان. ولكن هل سمعة مجلة محترمة تساوى عند محرريها اثنين شلن زيادة ؟

(٣) السياسة الاسبوعية: تحت عنوان رجال التاريخ المصرى الحديث حقيقة ابداع الذى حرر تاريخ محمد على أى ابداع وكان بحثه وافياً . وبالطبع لا . نعم هذا من الفاتنا لنظرة الى قوله « (ان محمد على تمكن) من أن ينشئ فى أربع سنوات أسطولاً حربياً وآخر تجارياً يضارع أكبر أساطيل الدول العظمى » وذلك فى نفس المقال الذى يقول فيه « بخلو مصر من المعادن والصناع ... وأصبح فى مصر ... عشرون الف عامل (فقط) » وعن قوله فى مكان آخر ان الاسطول المصرى بعد « أن رأى ضعف الاسطول العثمانى وتخاذله عند كل موقعة اضطرر للالتجاء الى جزيرة كريد وبقى فيها مدة حتى أصلح أحواله » فنيف يمكن التوفيق بين ما سبق خصوصاً وان الذى كان يتعقب الاسطولين المصرى والعثمانى هو الاسطول اليونانى ؟ !

وقال حضرة الكاتب فى مكان آخر « يأخذ بعض المؤرخين محمد على بأن تجارة الرقيق فى عصره كانت مباحة. وقد قلنا إن الحكيم على حوادث ماضية بعقلية الزمن الحاضر لا يتفق مع الانصاف فى شيء على ان محمد على كان شاعراً

بأن هذه التجارة ليست من المسائل الانسانية. وأكبر دليل على ذلك الخطاب الذي بعث به الى حاكم السودان يقول فيه ليكن معلوما لك أن نظام الرقيق يحط من قدرى في نظر الحكومة الانجليزية التي بين حكومتى وبينها علاقات ودية وانى لا أريد أن أكسب من تجارة لا تشرفنى، وإذا كان الغاؤها يتطلب بعض توضيحات فأنا مستعد لتحملها» وأظن أنه سمي عن بال الكاتب الفاضل ذكر الحقيقة وهي أن الدافع على استنكار محمد على لتجارة الرقيق ليس له من سبب آخر الا رغبته في عدم حط الحكومة الانجليزية من قدره. فهو يريد أن تبقى العلاقات الودية بينه وبين الحكومة الانجليزية ولا يكون هذا الا على أساس تثبيت فكرة انه لا يكسب من تجارة لا تشرفه في نظر الانجليز. وانى لا اكون قد نهيت حضرة الكاتب الى مالا يعلمه اذا قلت ان فكرة معارضة الاتجار بالرقيق لم تستغفها إنجلترا ولا شمال اميريكاجا في الانسانية بل عند ما شعرت كل منهما بأنها ليست في حاجة الى فن تربية الرقيق فالكل يعلم أن الحركة لتحرير العبيد كانت موجودة قبل العهد الذي عملت إنجلترا فيه كحامية للانسانية ولم يشتمز منها الناس والسبب بسيط بسيط هو أن الثورة الصناعية كانت قد قللت من قيمة اليد العاملة في الاوساط الصناعية وأصبح الطلب أقل من المعروض ولذلك، حينما لم تكن هناك فائدة من الاكثار من الرقيق، تنبه الرأى البريطانى الى وجود مبدإ انسانى اسمه تحرير العبيد المضطهدين. فكيف يتوصل الى ذلك محمد على الذى كان تاجر مصر الوحيد وزارعها وصانعها ومع ملاحظة أن الصناعة المصرية كانت في عهده في فجرها ولم يزد عدد الصناع عن عشرين الف كما تفضل حضرته بقوله وكانت مصر زراعية تحتاج الى الايدى العاملة وكان هذا في الوقت الذى لم تغز فيه الا اكتشافات بعدساحة الزراعة وحينما كان الفلاح يجر للحرب وانى أنبه حضرة الكاتب الفاضل الى حرب اميريكاجا الداخلية لتحرير العبيد وأذكره بأن المدافعين عن الحرية كانوا سكان المقاطعات الشمالية الصناعية بعكس الجنوبيين الزراعيين فانهم بذلوا جهداً عظيماً في الدفاع عن نظام الرق لانه كان لازماً لهم بعكس الاولين

فمحمد على لم يكن والحالة هذه مشجعاً بالروح الانسانية لسبب بسيط هو
أن ظروفه لم تسمح له بالاستغناء عن الاسترقاق حتى كان يصغى لصوت الانسانية
كما فعلت انجلترا بعد ان لم تجد من عمالة توالدهم فائدة لها

ومن الغريب أن حضرة الكاتب الفاضل يحاول ايجاد المعاذير لمحمد على
لوضعه نظام الاستئجار للفلاحين ومنعهم عن امتلاك الارض ويحذرننا أن نحكم
على ذلك النظام متأثرين بما يحيط بنا اليوم من الدوامل فهل نسي حضرة أن نظام
محمد على هذا قد اقتبسته حكومة انجلترا واتبعته في السودان ، فالاراضى هناك
لا تزال ملك الدولة تؤجرها الى الشركات الانجليزية وهو المستحب أو للأفراد وهو
القاعدة ، على أساس نظام العشور وان ما كان يفعله محمد على من الاتجار بمحاصيل
الفلاح تفعله في الوقت الحاضر احدى الامم المتقدمة وليس بعيداً عنا بل في
في حدود أرضنا ؟

ففكرة الولاية كانت فكرة اقطاعية بمعنى أن مصر كانت ملكاً لحاكم
تركيا الذي كان لا يعترف ببرلمان ولا بمجلس وزراء فاذا كان قد أقطع
أرضنا ل أحد عماله نظير جزية معلومة فأنما يكون قد صرح لأحد اتباعه باستثماره زرع
نخصة نظير ايجارة سنوية. فمحمد على كان يفعل ما تفعله انجلترا في القرن العشرين
على أسس قانونية منطقية

أريد دفعة أخرى أن أكرري بأن مقال محمد على هو مقال جيد متين نود لو
تحدثنا السياسة الاسبوعية بمثله كثيراً
ع.....ع

مِثَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ

مِراجِعَاتٌ وَمَخِصَصٌ عَنْ أَصَدِّ الْمَوْلَفَاتِ الْأَوْرُوبِيَّةِ

نَازِلَةُ الْحَيَاةِ

تأليفه عن جوليان هكسلي

غيرت الاكتشافات البيولوجية التي تمت خلال المائة سنة الاخيرة كثيرا من طرق تفهمنا للحياة الانسانية. ويكاد التغيير الحادث ينحصر في أمرين : الوراثة ، والمسائل الجنسية . وهما موضوعان لم نعرهما التفاتاً كافياً في الماضي بعكس الآن إذ بناهنا بهما اهتماماً عظيماً. فقد بدأ الناس بفهمون ان ازادة المعرفة لاشك ستوصلهم إلى مافيه سيادة مستقبلهم ومستقبل الجنس البشري أيضاً ، وذلك بالقياس على اختباراتهم السابقة ، فبعد ما كنا نستسلم الى القضاء والقدر ، صار همنا نحصر في العمل لتغيير المآل ليتطابق مع مافيه صالحنا .

ليس المقصود من هذا البحث الدخول في موضوع معنى الحياة لان شرحه يطول . فانا أسلم بوجودها على أساس أنه ليس من المتعذر علينا التفريق بين الحي واللاحي . حتى بين أصغر الخلق التي لانراها الا من عدسة الميكروسكوب ذلك لان أهم مظاهر الحياة هو التوالد الذي يتجلى بصور متشابهة بالرغم من ١ — إن الحيوانات الدنيا تتوالد بالانقسام أى ينمو الواحد منها عوا كبيرا ثم ينقسم الى قسمين يصبح كل منها وحدة قائمة بذاتها، وهكذا يجرى التوالد بالتتابع . ففي هذه الحالة يفقد الاب شخصيته (ويموت بطريقة ما ولو أن رمته لا ترى) .

٢ — ومن الحيوانات من تتوالد بطريقة التبرعم budding (أو التزير بالنتوء) إذ يحدث فيها تنوعات تتمدد ولا تلبث حتى تصبح أصولاً تتبرعم بدورها كالمرجان مثلاً .

٣ - ثم توجد حيوانات تتوالد عن الطريق الجنسي الامر الذي يشاهد في النبات أيضا. وتكاد تختص الحيوانات العليا بهذه الطريقة . وما عليك الا مراقبة الدجاج والنعابين (والناس لتقتنع بذلك) ويتم التوالد الجنسي باجتاع وحدتين حيتين بعد انفصالهما من أصليهما وهما لا أكثر من خلتين لا يختلفان عن بقية الخلايا التي تتكون منها الاجسام . فثالية التي تنفصل عن الاب هي الحيوان المنوى Sperm والتي تنفصل عن الام هي البويضة Ovum وتختلف هاتان الخلتان عن بعضهما في الشكل . فالحيوان المنوى مستطيل وحركته ايجابية بعكس البويضة فهي أكبر حجما واقتبالها سلبى . ولكن هذا لا ينفي أن كليهما حي وكليهما خلية . انفصلتا عن الاصل . وكانتا برعتين فاندججتا في بعضهما . فالتوالد يكون اذن عبارة عن نمو جسم منفصل مستقل . -

وكان القدماء يظنون إمكان نشوء الحى من الملاحى . ولذلك قالوا إن الدود يولد من الجبن . ولكن باستير أثبت أن تعقيم الابن يزيل تفاعل البكتريا فيه . فهو يفسد . وبمعنى آخر لا تتكون فيه جراثيم الا اذا هى نشأت عن حياة سابقة . هذا هو أساس علم الطفيليات bacteriology

من هذا نرى أن اهتمام علم الحياة ينحصر في اثبات أن كل حى سواء كان حيوانا أو نباتا ليس أكثر من مجرى لمادة حية يتسم في مجال ويضيق في آخر والاتساع دليل على مبلغ النمو والضييق رمز خالقيات التوالد وهكذا يمتد المجرى الى الانهيار له .

والحيوان أو النبات دائم الامتصاص للمادة اللاحيية ، عن طريق الاكل والشرب والتنفس . فيقتصر عمله اذن في طبع ما يمتصه بطابع نوعه . وبعد أن يأخذ ما يحتاج اليه يقذف فضله مرة أخرى الى العالم الملاحى فهو فى عمله هذا كاطاحون التي تسخر المادة لصالحها أى لا يباد طواحين أخرى مماثلة لها .

يقول دارون في كتابه « أصل الأنواع » ان نظرية التطور من ملازمات التوالد . فجميع أنواع الطيور التي نراها نشأت عن أنواع كانت موجودة في سابق العصور . وأن نوع الطائر تطور عن حيوان كان أشبه بنصف طائر

ونصف زاحف . كذلك جميع الحشرات نشأت عن حشرة بدائية . فملايين
 مجارى الحياة التى لكل منها اسم مخصوص كلها تفرعت من مجرى واحد تفرع
 بدوره من غيره وهلم جرا . فاذا ما نظرنا نحو البداءة قليلا نجد أن الحيوانات الفقارية
 (التى لها هيكل عظمى) والحيوانات الرخوة تطابق القاعدة السابقة كما تطابقها
 الأسماك والطيور مثلا . ولكن مع امكاننا مشاهدة صلة الفرعين القريبين مناء
 ليس من الممكن الوصول الى أصل تفرع الفرع النائية الا بالقياس المنطقي
 فقط . ولذلك يصح لنا التمسك بنظرية أن الحياة الحيوانية . نشأت من خلية
 واحدة جعلها التطور متعددة الانما ثم أخذ كل منها اتجاها وشكلا مخصوصين
 ونتج عن ذلك وجود الديدان والانجم والحشرات وذرات الفئار . وذلك حدث
 عن طريق التوالد والتنوع المتلازمين . فالفقارية مثلا كانت مائية فاعتاد بعضها
 الحياة فوق اليابسة وبذلك كسب حرارة الدم كما وأن التطور انتهى في البعض
 ما نسميه العقول . فعند ما ينساب ر الحياة من منبعه على مدى الزمان يتشعب
 وتتباعد شعابه عن بعضها . لننتقل الآن الى موضوع الوراثة . يشبه الاطفال
 بوجه عام آباءهم ولكن ليس معنى الشبه التطابق لان الطفل قد يشبه تارة عمه أو
 جده أو أكثر من والديه . وقد لا يشبه أحداً من أقربائه فيكون له شكل منفرد .
 كذلك قد يتشابه الاشقاء والشقيقات فيطبعون بطابع العائلة ولكنهم لا يكونون
 أبداً صورة طبق الاصل لبعضهم البعض . اللهم الا في حالات نادرة بين بعض
 التوائم . والمقصود من الشبه العائلي يمكن تفهمه بالملاحظة أكثر مما يفهم من الشرح
 فلاطفال ليسوا أكثر من قطع جية انفصلت عن أصولها . وليس السؤال هو
 ما السبب في وجود التشابه لان هذا ما كان ينتظر بل يجب أن يكون السؤال
 ماهو السبب في عدم التطابق

إذا فرض أن الجينة (الجريفييرا) كانت قابلة للنمو إذا انقسمت فلننتظر
 أن تصبح القط المقطع منها جينة من نفس الصنف وليس من صنف آخر (حلوم
 أو استرالي مثلا) ولكن في الحياة لا يتم النمو على هذه الصورة المفترضة . وقد
 أدلى النفس المساوي مندل بدواعي الاختلاف عند ما سبق غيره في اكتشاف

قانون الوراثة الذي نسب اليه . وقد أشاد مئات من علماء الحياة نظرياتهم خلال الربع قرن الاخير على هذا القانون. وبذلك تجلت لنا حقيقة مارمت اليه نظرية مندل . وأنه لمن الصعب الدخول هنا في التفاصيل خصوصاً . وأنه لم يتم شرح بعض نقط النظرية شرحاً وافياً . فوالحالة هذه أجسد نفسى مجبراً على التكلم إجمالياً وعلى الذين يرغبون التعمق الرجوع الى المطولات . وقد أوصلنا درس قانون مندل الى أن المادة الحية يتوارثها الابن عن الاب عن طريق وحدات من الصعب رؤيتها حتى تحت عدسات المجهر القوية. ولكل من هذه الوحدات أثر في عملية الوراثة فينحصر عمل البعض مثلاً في تكوين البويضة في حين يعمل غيرها في أشياء أخرى هي التي تفرق ما بين نوع من المخلوقات ونوع آخر وتسمى هذه الوحدات عوامل الوراثة Genes . ويجب ملاحظة أن كل عامل منها يختلف في تكوينه الكيماوى عن بقية العوامل مع أن لكل واحد منها قوة معينة .

عمر عنایت

توارث الكفايات

Studies in Hereditary Ability

منذ أن نشر العلامة الكبير شارلز روبرت داروين كتابه الخالد في أصل الأنواع سنة ١٨٥٩ اتجهت العقول الى البحث فيما يمكن أن يقوم عليه النشوء من الدعام الطبيعية . وكان البحث في الوراثة من أول البحوث التي اتجهت إليها عقول العلماء . وبعد أن استكشف العلامة مندل قوانينه المعروفة في الوراثة وبدأ البحث في هذا العلم يأخذ الصبغة العلمية الصرفة ويخضع للتجارب والاختبارات نشط جماعة من العلماء الى بحث الكفايات العقلية وهل هي موروثة أو غير موروثة عن عدد غير محدود من الاجيال ترجع بصفاتهما تلك الى أصل أولى عنه تنسأت .

وفي سنة ١٨٧٢ نشر العلامة فرنسيس غالتون كتابه المعروف « النبوغ المتوارث » Hereditary Genius منتحياً في البحث نحواً علمياً صرفاً، مثبتاً أن النبوغ يورث جيلاً بعد جيل . وأثبت أن وراثة الكفايات العقلية قد تورث على نفس الصورة التي تأصلت في الأصل الذي عنه تورث الكفايات . فإذا كان النابغ

قاضياً مثلاً غلب نبوغ التشريع والت قضاء في أعقابه . وإذا كان قائداً غلب في أعقابه نبوغ القيادة وحب الجلاء والمنافسة . وهكذا في بقية الصفات التي تورث عن جد أحلى تنتقل منه الصفة إلى الأجيال التي تنسل عنه .

أما موضوع الكتاب الذي نحن بصدده اليوم وهو « توارث الكفايات » تأليف الأستاذ (جن) Gun فلا يخرج موضوعه عن كتاب العلامة غالتون الكبير . وبمقدار ما كُنْى أن أتذكر من كتاب غالتون وقد قرأته منذ عشر سنين أستطيع أن أحكم بأن مستر (جن) يخالف غالتون في بعض أحكام خاصة بتوارث الصفات الفنية من أجيال تناسلت عن فنان تابع في الأصل . واليك تلخيص مجمل من هذا الكتاب :

يقول مستر جن في مقدمه كتابه ان ما يتكون منه الفرد انما هو الصفات التي يرثها عن آباءه ، تلك الصفات التي له ترسم قسراً عنه خطة من الحياة فاما أن تؤدي إلى النجاح أو الاخفاق ، على حسب الكفايات التي يرثها عن أسلافه . خير أن الأقوال التي يلجأ إليها مستر (جن) عندما يحاول أن يثبت نظريته هذه ، قد تظهر لنا بوضوح أن النظرية لا أساس لها من الصحة . ولا تقصد بالطبع نظرية الوراثة وتوارث الكفايات ولكن نظرية النجاح والاختفاق في الحياة . فليس لدينا في الواقع أى أساس من البحث العلمى التجريبي يمكننا أن نعلمه دليلاً في الحكم على أى العناصر الطبيعية أو أى التراكم كان له الأثر الأكبر في تكوين عبقرية شكسبير أو شيلي أو موزارت ، بما ينتج مثل ما أنتج هؤلاء من الآثار الخالدة التي بلغت حد الإعجاز . والحقيقة أننا لا نستطيع أن ننكر أن باحثاً مهماً أوتى من قوة الملاحظة والحكم على الأشياء مهما تمكن من دراسة زوج وزوجة أن يحكم على نوع النبوغ الذي سوف يظهر في أبنائهما . والواقع أن مستر (جن) قد أدرك هذه الحقيقة فقال في ختام كتابه — « ان دراسة توارث الأسر قد أثبتت أن الفرق بين الانبغ والاقول نبوغاً منه قلما يكون ضئيلاً . وأنه كثيراً ما يحدث أن يفوز الاقل نبوغاً بظروف قد يكون للحظ فيها نصيب — ويكثر أن يكون سببها قليل من النشاط وحب العمل فيتميز على الانبغ ويحتمل مكانه الذي كان من الواجب

أن يشغله في نظام الاسرة . وأن الواقع أن قلائل هم الذين يفوزون بأن يشغلوا من النبوغ مكانة عليا في أية أسرة من الأسر .

أما اتصاف بضعة أسر بقدر من الكفايات الطبيعية والعقلية يكون ذاتها في أفرادها تتفوق به على كثير من الأسر الأخرى ، فحقيقة لا ريب فيها . بيد أن كثيرا من المشاهدات ومن أقوال الاقدمين تؤيد هذه الحقيقة تأييدا تاما . غير أنه من أصعب الصعاب إذا أردت أن تتأمل من المؤهلات الانسانية التي تؤدي الى النبوغ والتفوق في الافراد الذين يكونون جماعات العصر الحاضر في المدنية الحديثة وظروفهم التي تحيط بهم في الاجتماع ، أن تحكم في تفوقهم حكما مقطوعا بصحته بحيث يكون بعيدا عن مؤثرات البيئة كالتربية والتعليم والعلاقات الشخصية والمحسوية في الاجتماع والسياسة ، وأن تجعل الحكم على الفرد ونبوغه ونجاحه في الحياة واستعلائه على بقية الذين ينشئون معه نشأة واحدة بعيدا عن حكم هذه المؤثرات في مجموعها .

على أنه لا يجوز لنا أن نحكم في نوابع الفنانين حكما عاما كحكمنا على غيرهم من النوابع . ويكفي أن نذكر أن مؤلف الكتاب قد حكم على أهل الفن حكما جديداً بعيداً عن الاحكام التي وضعها سابقوه في بحث هذا الموضوع . فقال بأن « التفوق الفني من الصعب أن يعلله الانسان بالوراثة عن أصل أولى تنسب عنه أسرة ما » . بل يقول بأن هنالك « قاعدة عامة تثبت لنا أن الذين حازوا أكبر قسط من النبوغ الفني كان لهم من الاعقاب النابغين عدداً أقل مما يعقبه الرجال الذين اتصفوا بالنبوغ في الاعمال العامة والآداب والعلوم . ويظهر أن الهبة الفنية لسبب من الاسباب ، ويصعب غالبا أن نعينه ، غالب ماتكون محصورة في فرد من الافراد ، في حين أن الصفات الاخرى تكون موزعة على كثير من أفراد الاسرة الواحدة » .

والكتاب على وجه العموم خلو من المنفعة العلمية الصرفة غير أن فيه كثيرا من الابحاث التي تمهد للمبتدئين في بحث هذا الموضوع سبيل الدراسات العميقة في وراثة النبوغ وفي الطرق العلمية التي يجب أن يكب عليها الباحثون

في هذا الموضوع . ذلك لان كثرة ما لجأ اليه المؤلف من النظريات قد يفتقد الباحث العلمي كثيرا من الاسباب التي يجب أن يتركز عليها ليتمكن من أحكامها ثابتة أساسها البحث العلمي ، الصريف :-

آدم - سميت كفيلسوف أخلاقي

Adam Smith and his moral Philosophy :—

تأليف الدكتور فون وولتر اكنشتين :

أعاد الدكتور وولتر اكنشتين الالماني باجماعه الحديثة وترجمته لكتاب العلامة الكبير آدم سميت ذكرى تلك الثورة الكبيرة التي أحدثتها كتابات سميت في أوروبا في الاقتصاد . فإن آدم سميت قد عرف في أوروبا وفي أنحاء العالم أجمع بأنه مؤلف كتاب ثروة الأمم The Wealth of Nations ولم يعرف أبداً بأنه مؤلف ذلك الكتاب القيم «العواطف الادبية» أو «الميل الادبية» Moral Sentiments وهو كتاب أحدث في عهد نشره ضجة كبرى في دوائر الفلسفة وطبع عدة طبعات متوالية في حياة مؤلفه

والحقيقة أن كتاب سميت الاقتصادي قد عرف في القارة الأوروبية أكثر مما عرف كتابه الفلسفي . على أنه كان يمجداً الأخير أضعاف ما يمجداً الأول ، وكان له في نظره من الاعتبار ما يجعل كتاب ثروة الأمم في المحل الثاني بعده . ولم يكن الأمر على تقيض هذا في إنجلترا نفسها . فإن كتابه الاخلاق قد طبع عدة طبعات خلال القرن التاسع عشر وطبع مرتين في خلال القرن العشرين . ولكن ظل سميت معروفاً في إنجلترا نفسها بأنه مؤلف كتاب ثروة الأمم الذي يعتبر أساس علم الاقتصاد الحديث ، مع أن كثيرين من المشتغلين بالعلم يعرفون أن سميت كان أستاذ الفلسفة الادبية في جامعة غلاسكو .

أما السبب في أن كتاب الفلسفة الادبية ذاع انتشاره أولاً ثم أغفل أمره الآن ، فظاهر جلي . فإن الفلسفة الادبية قد جرت خلال العصر الأخير في سبيل تخالف تلك السبيل التي جرى فيها تيارها خلال زمن سميت ومن عاشره من

العلماء والفلاسفة . على أن هنالك سبباً آخر . فإن كتاب سميث في الفلسفة الأدبية كان آخر ماجاد به عقل سميث في بحث أدبي كاد أن يبلغ منهاده . في حين أن كتابه في الاقتصاد كان جهد الرائد المبتكر .

غير أن الدكتور اكتشين يدفع عن كتاب سميث الفلسفي . ويقول بأن هذا الكتاب على الرغم مما فيه من النقائص والاختفاء التي لا ننكر ، فإن فيه من الجمال والفائدة ما يرضيه في مصاف الكتب الأدبية العليا في تاريخ الفكر الحديث . هذا فضلاً عن أن الكتاب تحفة أدبية لمن يريدون أن يضعوا أبحاثاً في تاريخ الفكرة الأدبية وتطورها على مر العصور . فالكتاب في ناحية من نواحيه ينظر إلى الماضي نظرة يحاول من ناحيتها أن يصارع الآداب الميثولوجية التي ملكت ناصية الناس من طريق الدين ، ومثلها ذلك الفريق الذي سعى أفرادهم أنفسهم بالافلاطونيين في كبرج خاصة مضافاً إلى ذلك فلسفة « الفردية » التي مثلها هيومسه ومنه فيل في انجائهما عامة . ورمي المؤلف في ناحية أخرى من نواحي الكتاب إلى المستقبل نظرة كلها استقلال في الرأي وحرية في النظر أدت إلى وضع تلك القواعد التي أخذها من بعد كانت Kant الفيلسوف الألماني قاعدة من قواعد مذهبه الأخلاقي . ولقد أظهر الدكتور اكتشين أن « كانت » قد قرأ كتاب سميث الأخلاقي وانتفع به في وضع مذهبه وكان للكتاب عنده قيمة كبيرة . ويرى دكتور اكتشين فوق هذا نظرية سميث في « المواطن الأدبية » إنما يعتبر حلقة وصل بين نظريات الماضي البعيد وبين النظريات التي وضعها من بعده أمثال « كانت » الكبير واتخذت فيما بعد قاعدة لهذه النظريات الحديثة .

ولقد مضى الدكتور اكتشين بعد ذلك يقارن بين نظريات سميث الأدبية وبالأحرى بين كتابه في « المواطن الأدبية » وبين كتاب ثروة الأمم ، وعلى الأخص في التناقض الواقع بين النظريات التي يتبعها في الكتابين ففي كتابه الأدبي يقول بأن قاعدة الاخلاق الانسانية هي المواطن أو الميول مع ما يبني على هذه النظرية من أن الانسان « غيري » — Altruist — عقلياً ونفسياً ،

في حين أن كتابه الاقتصادي يرمي إلى أن الإنسان « اناني » بطبعه، أو على الأقل في حياته الاقتصادية

يقول دكتور أكشتين إن التناقض الواقع بين نظريات سميث الأدبية وبين مذهبه الاقتصادي ظاهرة فقط ، وأنه استنتجها من أبحاث بعض الكتاب الذين ترجموا عن حياته . ويذكر بعد هذا أن طول البحث والأكباب عليه قد أثبت له أن لاتناقض مطلقاً بين مذهبي الفيلسوف في الأخلاق والاقتصاد . لهذا ينكر على سميث أنه مؤسس مدرسة منشستر الاقتصادية ويقول بأنه لم يدافع إلا عن العمال الذين مسهم الفقر وفعلت بهم الحاجة ، وأن القاعدة التي جرى عليها في بحث العلاقة الواقعة بين الحالة الاقتصادية والحالة الاجتماعية تنحصر في قوله بأن الأمة لا يمكن أن تنال شيئاً من السعادة في الوقت الذي تكون فيه أغلبيتها العظمى غارقة في الفقر والبؤس ، محوطة بأسباب الشقاء . ولهذا يقول فيه مسيو « جيد » الاشتراكي الفرنسي أنه من أول المدافعين عن فكرة الاشتراكية . وكذلك يقول إن طبيعة العواطف ومعناها يمكن أن يفهم فهما مستقيماً بالإكباب على بحث مذهب سميث فيها

وبعد أن حلل دكتور أكشتين مذهبه سميث في الأخلاق مثبتاً أن لاتناقض بين مذهبي الرجل في الأخلاق والاقتصاد ، تناول حياته فقال فيه أن سميث عاش عيشاً هادئاً بعيداً عن مفسدات الحياة واضطراباتهما

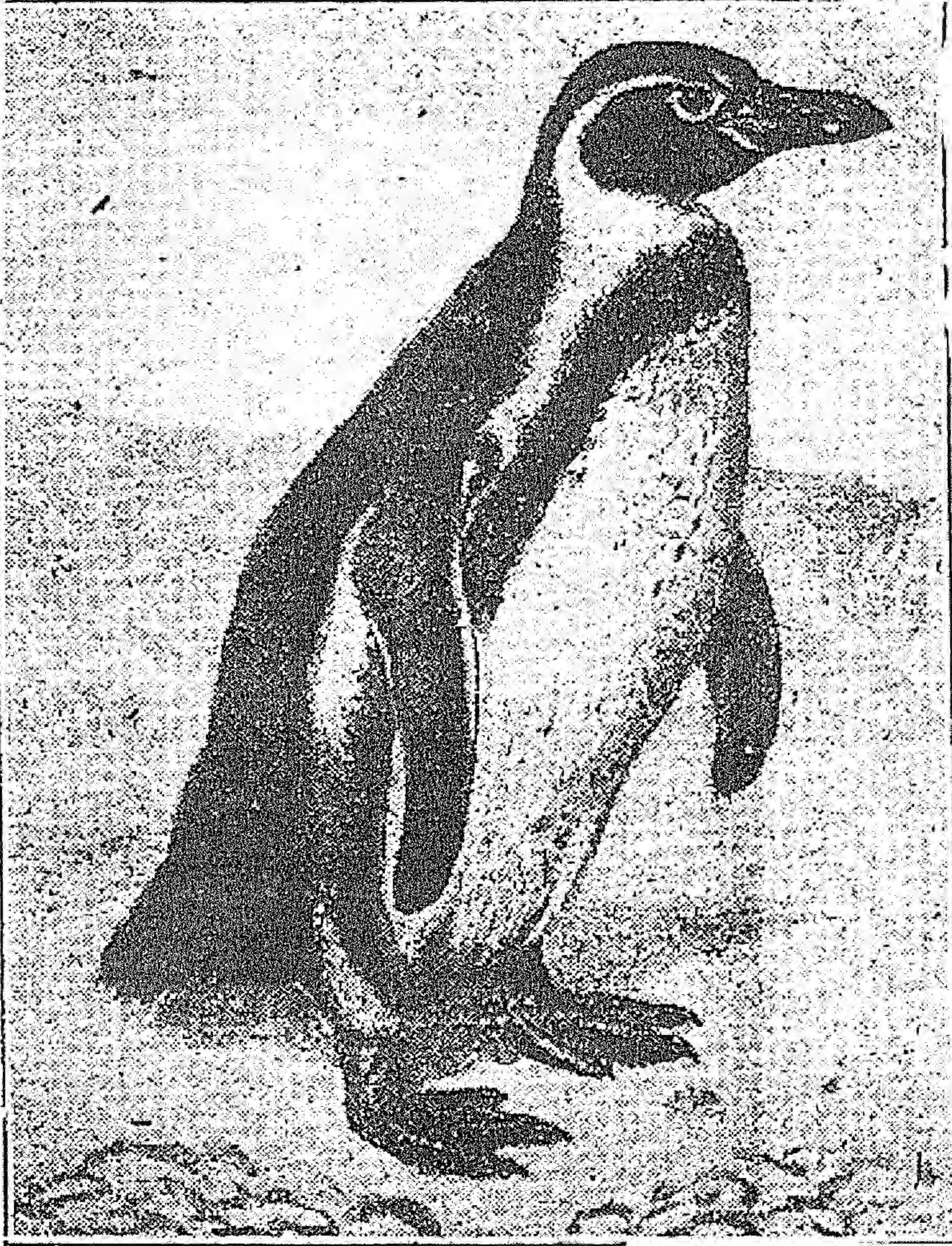
ولد في سنة ١٧٢٣ بعد موت أبيه وكان محامياً ذا شهرة وصيت . وشغل بعض مناصب الدولة بصدق وأمانة . ونشأ في كر كالدی مع والدته التي قطعت معه من عمرها واحداً وستين عاماً ، حيث ماتت في سنة ١٧٨٤

وفي سنة ١٧٣٧ التحق آدم سميث بجامعة غلاسكو حيث درس على الاستاذ روبرت سمسون وكان يدرس الرياضيات ، ثم حضر من بعد ذلك على الاستاذ فرنسيس هتشبون وكان يدرس الفلسفة الأدبية فأثر في عقلية سميث أبلغ الأثر وفي سنة ١٧٤٠ ذهب إلى كلية باليول با كسفورد . ولم يكد يستقر به المقام في هذه الكلية حتى أدرك ما كان في جامعة اكسفورد من سوء الإدارة والنظام

إذ ذاك ، وماغشى جوها من محسوبيات ومفاسد . ولكنه على الرغم من ذلك استمر فيها ست سنوات متوالية . ثم رجع بعد ذلك — سنة ١٧٤٦ — عن حياة الجامعات ليدرس في بيته وليكسب على الاستفادة مما انصرفت اليه ميوله من فروع المعرفة . وفي سنة ١٧٤٩ — ١٧٤٨ التي في جامعة أدنبرج محاضرات في تاريخ الأدب الإنجليزي ، وتبع ذلك محاضرات في الاقتصاد السياسي . وفي سنة ١٧٥١ انتخبه مجمع الأساتذة في جامعة غلاسكو ليكون استاذاً للمنطق ، ثم استاذاً للفلسفة الأدبية في سنة ١٧٥٢ . وطبع كتابه « نظرية في العواطف الأدبية » — أو الاخلاقية ، سنة ١٧٥٩ فذاع بعد نشره اسمه في دوائر العلم والفلسفة ووضع حداً قصداً بين عهد استدبره سميت وعهد استقبله . ولقد كان لهذا الكتاب من التأثير في عقلية « شارلز توزند » ما حمله على ان يطلب من سميت أن يرافق متبناه الدوق « بوكوك » في رحلة الى القارة الأوروبية . وقبل سميت أن يقوم بهذه المهمة ، بعد أن ضمن « توزند » أن يجري عليه معاشاً طول حياته . لهذا ترك أستاذيته ، ورحل عن إنجلترا في بداية سنة ١٧٦٤ مستصحباً تلميذه . ولم يعودا الى إنجلترا الا بعد ثلاث سنوات ، قضيا أكثرها في فرنسا حيث صادق الانسيكلوبيديين والبز يوقراطيين وغيرهم من الأشخاص الذين اشتهروا بين جنات العالم بالعلم والفلسفة . وبعد أن عاد الى إنجلترا سنة ١ٷ٦٦ أقام في كركالدي ليكتب مؤلفه « ثروة الامم » الذي طبع ونشر سنة ١٧٧٦ فنال به أوسع شهرة في العالم كله .

وتوفي في شهر يولية سنة ١٧٩٠ بعد أن أتم مراجعة كتابه الاخلاق في طبعته السادسة التي طبعت حال حياته والتي كان من نتائجها أن جددت الكتاب تجديداً زاد من قيمته العلمية والتاريخية

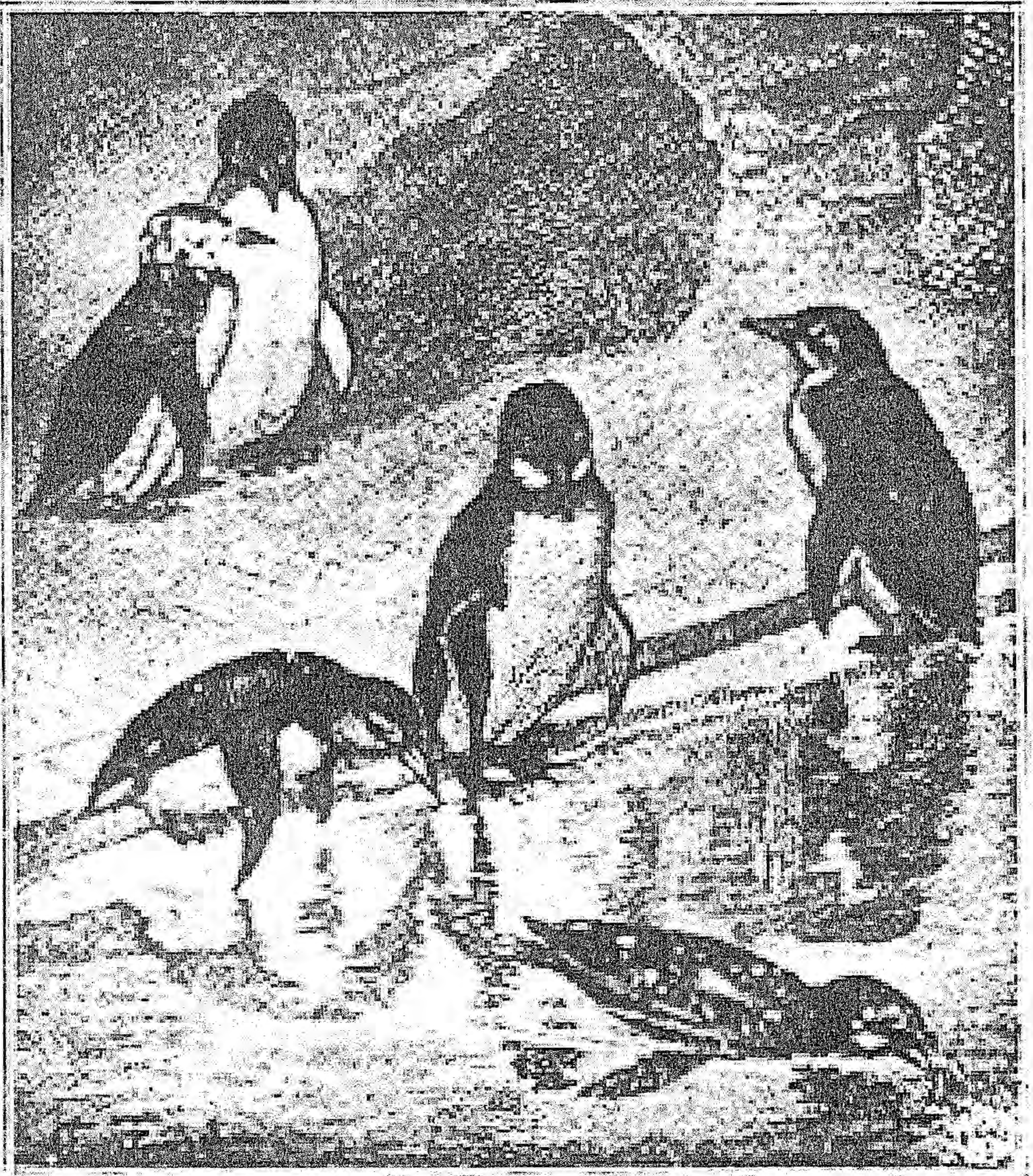
المعور - عدد ١٠ - مجلد ٢



بنغوين همبولد

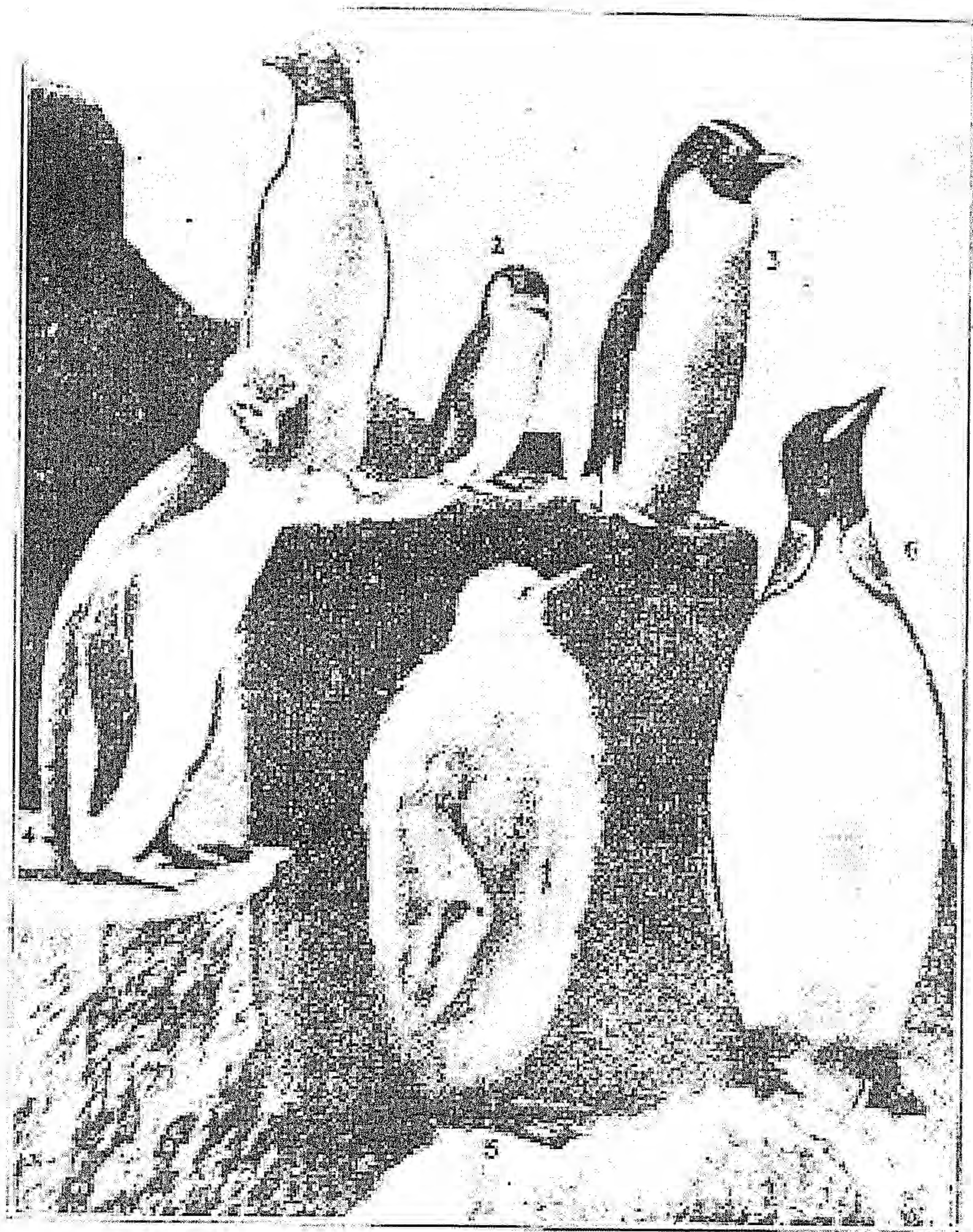


المنزلة القديمة

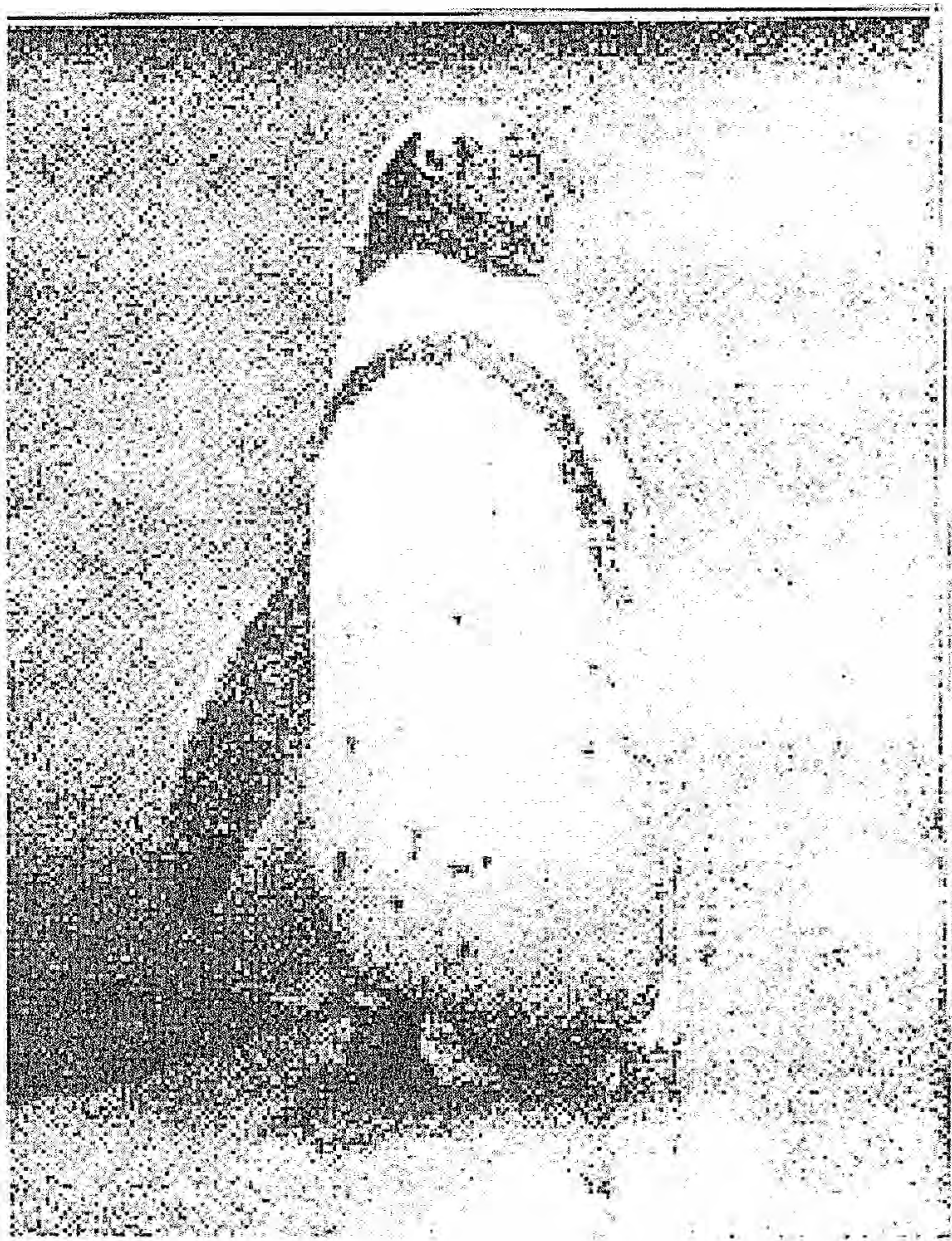


جميع من مشيروا البعثون السود، لاقدام في محالها الأصلية حيث

تقضي بالقرب من حوالي ١٢٠٠ غطيط بها المصور

[illegible]

المصور — عدد ١٠ — جلد ٢



بنيون بلاد الكلب

فصول مصورة في التاريخ الطبيعي

البنغوين

البنغوين طير يشابه الغطيس Grebe في وضع أرجله أذ تكون في مؤخر الجسم ، وفي انتصابه عند الوقوف على اليابسة . ويعيش هذا الطير في نصف الكرة الارضية الجنوبي ، ويختلف عن بقية أجناس الفصيلة في اعتبارات تشريحيه ذات بال تتناول تكوين الأجنحة والارساغ .
واليك تقسيم هذه الأسرة حسب الآراء الاخيرة المعول عليها في كتب التاريخ الطبيعي :

Family الأسرة

Penguins—Spheniscidae

البنغوين — واصطلاحاً الأسفينيسيدا

Genus 1. الجنس الأول

Aptenodytes — الابتينوديت

Species — أنواعه

King penguin—Aptenodytes pennanti الابتينوديت بنانتى

Empror penguin— “ foresteri فورستري »

Genus 2. الجنس الثانى

Pygoscelis البيوغوسيلس

Species — أنواعه

Gentu penguin-Pygoscelis Taeniata البيوغوسيلس تنياتا

Adèlie-Land penguin—pygoscelis Adèliae البيوغوسيلس أدليا

الجنس الثالث — Genus 3.

Crested penguins-Eudyptes الايوديبيت

Species — أنواعه

Rock hopper—Eudyptes chrysocoma الايوديبيت كريسوكوما

Yellow-crested penguin - pachyrhynchus » باشيرينكوس

الجنس الرابع — Genus 4.

Eudyptula — الايودبتولا

Species — أنواعه

Blue penguin—Eudyptula minor الايودبتولا مينور

الجنس الخامس — Genus 5.

Spheniscus — الاسفينوسكوس

Species — أنواعه

Black-footed penguin — Spheniscus demersus

الاسفينوسكوس ديمرسوس

Humboldts penguin -- spheniscus humboldti

الاسفينوسكوس همبولديتي

Jackass penguin -- spheniscus magellanicus

الاسفينوسكوس ماجيلانيكوس .

ولطير البنغوين حسب هذا التقسيم سبعة عشر نوعاً كلها تعيش في نصف الكرة الجنوبي . وهذا الطير لا يبلغ مدى انتشاره شمالاً لا أكثر من المدار الجنوبي . غير أن بعض الأنواع التي تعيش في جزر الغالا باغوس قد تبلغ في انتشارها شمالاً إلى خط الاستواء وتمتد ما أهلها إلى الدرجة ٨٠ جنوباً . وعلى هذا لا يوجد طير البنغوين في المناطق المنجمدة الجنوبية وحدها بل يوجد أيضاً في جنوب افريقية وجنوب امريكا واستراليا ونيوزيلاندا وفي كثير من الجزر الصغيرة التي تغطها مياه المحيطات الجنوبية وعلى الاخص جرر فوكلاند وكريغابن وترسان دي كونهما .

الزولوجيا أو

مبادئ علم الحيوان

- ٦ -

تابع تقسيم الحيوانات .

التمرتينا *Nemertinea* - هذا الاصل تدعى أعضاؤه « بالديدان » . وفي هذه الحيوانات تقع على هيكل عضوى يتكون من بشرة أو جلد وأنبوبة داخلية للهضم ، وبين البشرة والأنبوبة الهضمية ، نجد كمية من الانسجة العضلية وكذلك نعر على جهاز عصبي مركزى يتكون من عقدتين كبيرتين تدعيان اصطلاحا « بالملخ » ووتران جانبيان . غير أن هذه الحيوانات تختلف عن البلاتيهمنثوس *Platyhelminthes* في أنها تتقدمها في سلم الرق التركيبى . فإن للأنبوبة الهضمية فيها ثقبان أو فتحتان ، أحدهما فى المقدمة وتدعى « الفم » وتستعمل لادرداد الطعام ، والاخرى فى المؤخرة وتدعى « المخرج » *Anus* أو الشرج ، ووظيفتها تنحصر فى اخراج فضلات الطعام التى لم تهضم . وكذلك تمتاز الديدان النيمرتية بأن لها خراطيم قابلة للامتداد *Protrusible* تكون فى نهاية جسمها من الامام ، وتنكمش فى داخل « غمد » اذا كان الحيوان فى غير حاجة الى استخدامها . وهذا الخرطوم يسمى اصطلاحا *Proboscis* وفي استطاع الدودة أن ترسله فى سرعة عجيبة وتلفه حول فرائسها التى تفتدى بها . ومن خصائص النيمرتيات أنها ذات نشاط محبة للساب والافتراس .

(١) كتب اليها الكثيرون من قراء العصور يطلبون المضى فى نشر بقية الفصول التى كنا بدأنا بنشرها فى مبادئ علم الحيوان ووقفنا عن نشرها ظنا منا بأن قراء العصور لا يهتمون بمثل هذه الابحاث العلمية الجافة . ونحن تلبية لنداء قرائنا نعود الى نشر بقية هذه الابحاث فاذا انتهينا منها بدأنا فى غيرها من فروع العلوم الحديثة (راجع عدد ديسمبر سنة ١٩٢٧ فيه آخر بحث نشر)

ولدينا أصل (١) Phylum آخر تدعى أعضاؤه بالديدان أيضاً هو ما يسمى اصطلاحاً « بالنيماتودا » Nematoda وترجمة بالديدان الخيطية Thread-worms. وهذه الحيوانات في أغلب حالاتها من الطفيليات Parasites التي تعيش على أجسام غيرها من الأحياء. وهذه الديدان موجودة في كل مكان على وجه التقريب ولها أهمية كبرى من الوجهتين الاقتصادية والطبية. وهي كالديدان النيمرتية، وكل الجذوع التي سوف نأتى على وصفها، لها فم ومخرج. وأهم صفاتها العلمية المعروفة أن تشريحها بسيط جداً البساطة بحيث لا يتورك في بحثها التشريحى أى تعقيد. فالقناة الهضمية بسيطة مستقيمة ليس فيها شئ من التركيب المعقد المهوش. والجهاز العضوى يتكون من طبقة واحدة من العضلات الطولية. ومن خارج هذين الجهازين يكون الجلد الخارجى، ويتكون من طبقة سيتوبلاسمية واحدة، تتخللها أنوية عديدة متناثرة تناراً يتعذر عليك معه أن تميز بين الخلايا التي تكونها. ومن هذا الجلد يتكون أظهر مافي هذه الحيوانات وأضرابها من الصفات. إذ منه تتكون « بشرة » هي عبارة عن مادة قرنية أو جلوتينية تدعى اصطلاحاً (٢) Cuticle تكون بمثابة غمد يتركب من إفراز ميت ويحدث من انقلاب عضوى يقع على المادة السيتوبلاسمية (٣) التي تكون في الجلد الخارجى. وهذه البشرة Cuticle كثيرة المرونة. فعندما يبتدىء الحيوان



دودة نيمرتية

منظورة من
الجهة العليا «خ»
الخرطوم — غ
غمد الخرطوم

(١) ورد على خاطرننا ونحن نكتب هذا المقال أن نسمى اصطلاحاً Phylum بجذع. والراجع عندى أن هذه الترجمة صحيحة وأكثر انطباقاً على المعنى المراد من أصل قال الشاعر

ولم أر مثل جذعك قط جذعاً تأصل في صميم المسكرات

على انى عثرت على بعض المؤلفين الكبار ومنهم العلامة كارل فون زيتل بصرف اصطلاح phylum في كتابه في البالنتولوجيا على الغفاريات مثلاً في حين أن مكبريد الانجليزى بصرفه على صور ليست من الرئيسية.

(٢) راجع ص ٢٤٤ جزء ٣ مجلد ١ من المصور س ١: ٣٠١.

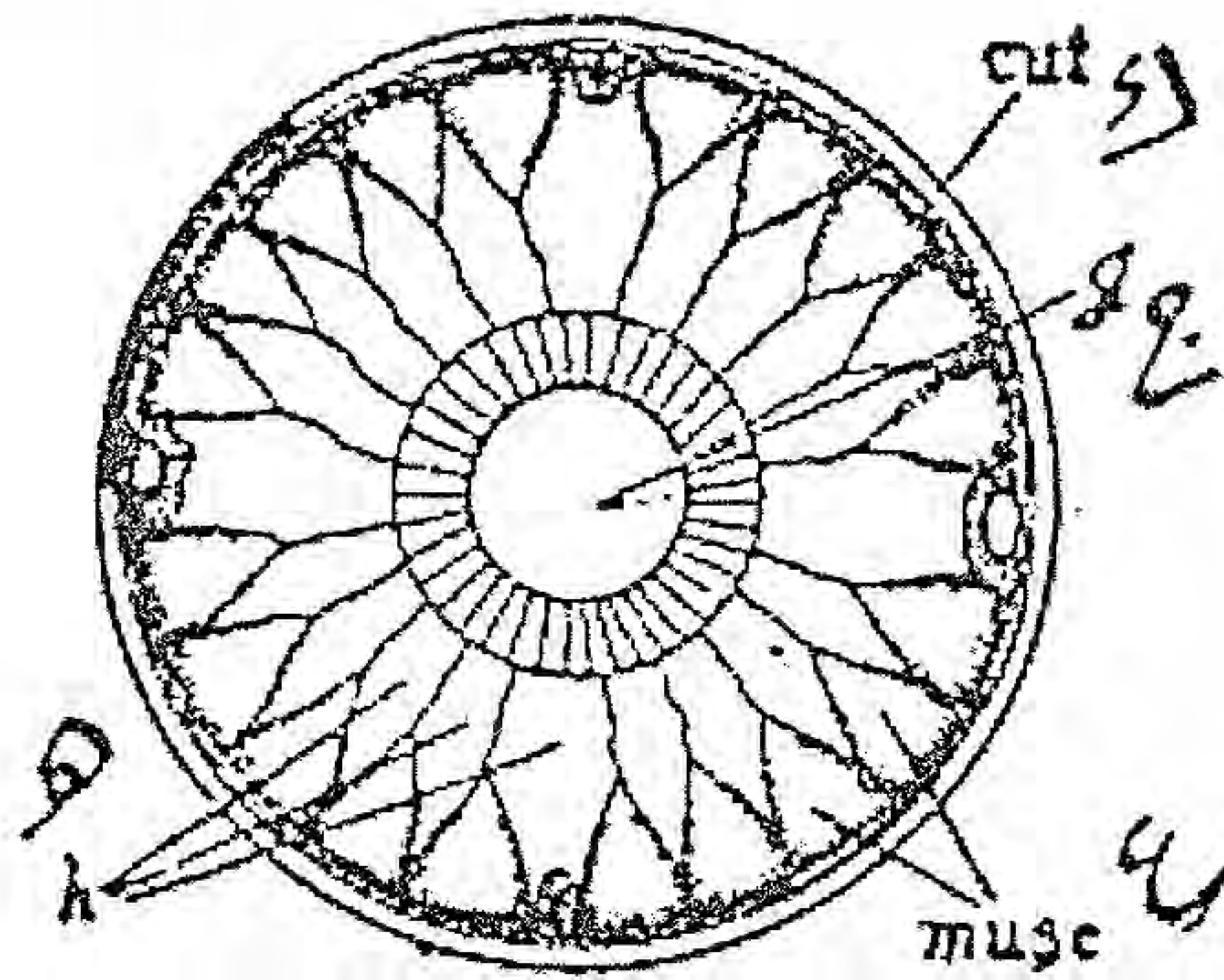
(٣) مادة النواة.

الصغير في النمو من حيث الطول تمتد مع امتداد جسمه . غير أن لمرورها حداً تقف عنده . فقد يحدث في بعض الحالات أن تنفجر هذه البشرة وتلقى بعيداً (١) . وعندئذ يأخذ الحيوان في البناء من حيث الطول سريعاً ، ومن ثم يمضي في تكوين « ثوب » آخر يتجدد بتجدد الافراز

وهذه العملية التي تدعى غالباً « التبديل » Moulting واصطلاحاً Ecdysis

تحدث أربع مرات أو خمس في خلال حياة الحيوان .

من بين الطبقة العضلية والقناة الهضمية وتدعى اصطلاحاً Gut يكون فراغ أو بالأحرى نظام من الفقاعات المفرغة تتصل بعضها ببعض تسمى اصطلاحاً التجويف الجسمي Body-cavity وهذه التجاويف تمتلئ بسائل شفاف يفيض ويطمو إذا تحرك الحيوان حركته الالتوائية . وهذا السائل يحتوي على الفضلات الهضمية التي تكون قد ترشحت Exuded من الخلايا الهضمية . وهذا السائل هو « النموذج الاصلى » prototype الذي يتكون على مثال الدم في الحيوانات العليا ومن أجل أن نفرق علمياً بين التجاويف الجسمية في صورها المختلفة ، ندعو هذه « بالتجاويف الجسمية الأولية » Primary body-cavities أو « تجاويف الدم الأولية » Blood body-cavities واصطلاحاً Hoemocoelae والديدان النيماتودية تختلف من حيث الحجم ، فتكون ديداناً ميكروسكوبية



صغيرة جهد الصفر ،
أو ديداناً قد تبلغ
ياردة انجليزية طولاً .
وهذه الديدان
وتسمى اصطلاحاً

« ديدان غينيا » (هـ) التجاويف الجسمية الأولية (ع) خلايا عضلية (و) موضع الفم
تقطع عبري لدودة نيماتودية ترك (ثوب) (م) القنوات الهضمية
دودة نيماتودية (و) موضع الفم

(١) كما يحدث على وجه التقريب في ثوب الثعبان ، وأظن أن قايلاً من انقراء هم الذين لم يرووا ثوباً من هذه الثياب . وأظن أننا إذا اصطالحنا على تسمية Cuticle بثوب تكون أقرب للمتعود من بشرة أو جلد وهو ما يسمى اصطلاحاً Epidermis

Guinea Worms تعيش في المناطق الحارة تغزو البشرية والغالايا التي تكون تحتها في الحيوانات الغاليا والانسان ، وتحدث هنالك قرحة خطيرة قد تقضي على الحياة . وقيل إن هذه الديدان هي التي عثر عليها في أجسام اليهود ، وزعم القدماء أنها ثعابين طيارة كانت تغزو أجسامهم انتقاماً وهم في التيه .

وتظهر أعراض المرض في الجسم أولاً ، ثم يتكون في خارج الجسم قرحة صغيرة لا تجف أبداً . وأسلم طريق لإخراج هذه الديدان هو أن تلف طرفها الذي يكون حيث تظهر هذه القرحة على عصا رفيعة ثم تلوى العصا برفق وابن شيئاً فشيئاً فتلتف عليها الدودة وتسحب من داخل الجسم حتى تخرج كلها . فإذا جذبت دفعة واحدة فقد يتمزق جسمها ويتقطع ، والجزء الذي يتخلف في جسم المريض يموت ثم يبدأ في الانحلال ويحدث تسبباً عاماً تكون نتيجته الموت . وكثير من الديدان الخيطية تغزو أجسام الخنازير . وقد يحدث أن إحدى هذه الديدان — وتكون ميكروسكوبية عادة — قد تغلت الى جسم من يأكل لحم الخنزير ثم تعيش في الأمعاء . ومن ثم تأخذ في اختراق أغشية المعدة وجدرانها ويحتمل أن تحدث لدى اختراقها هذه الجدران مرضاً قاتلاً يسمى اصطلاحاً « تريخينوزيس » Trichinosis . ولقد أحدث هذا المرض كثيراً من الأضرار في المانيا ، حيث كان الناس يأكلون لحم الخنزير قبل أن ينضج بالطبخ تماماً .

الوازعين الديني والآديبي

أيهما يجب الاعتد به

قال محدثي . إن نشر الاتحاد جريمة كبيرة

قلت — وكيف كان ذلك ؟

قال — إذالم يكن هناك راءع ديني فعلى الدنيا السلام . اذتعمها الفوضى والمذابح

قلت — وكيف عاش بعض الناس اذن قبل انتشار الاسلام والمسيحية

واليهودية وغيرها من الاديان

قال — كان لهم اديان سابقة

قلت — ما هو الدين ؟

قال — هو على الاقل الاعتراف بوجود خالق

قلت — وهل كل الاديان تترف بوجود خالق ؟

قال — كلا . ولكن لكل منها نظام أخلاقي

قلت — فاذن يصح لى أن أستنتج بان أساس الدين ليس واحدا بل هو قائم

فى اعتقادك على الاخلاق أولا ثم على فكرة وجود الله أيضا (وذلك فى الغالب)

قال أصبت .

قلت — وانى أضيف الى ذلك أساساً ثالثاً للاديان هو علم الدين أو فلسفة الدين

أو اللاهوت أو الخزعبلات ، فيمكننا اذن أن نقول إن الدين هو عبارة عن

١ — التسليم بوجود الموجد الاول

٢ — وجوب اتباع نظام أخلاقي

٣ — حشو

قال — وهل تشك فى وجود الله ؟ وهل يمكن أن تتصور موجوداً

بدون واجد ؟

قلت — البينة على من ادعى . وأما تصورى امكان وجود واجد لكل

موجود فهو بالاستنتاج ان يقف عند حد فبدلاً من أن تقول ان الله خلق العالم

مثلاً ثم تضرب من يسألك عن خلق الله ، اختصر الطريق واضرب من يسألك عن خالق العالم

قال — ولكن الكرسي له صانع ، والنزل له صانع ، أفليس من الجاهل أن تقول إن هذا العالم الفخيم العظيم لا صانع له ؟

قلت — أجل . الكرسي له صانع (صنعه من مواد أولية) والنزل له صانع وليس صانعاً واحداً وقد استعملوا في أشادته مواداً أولية أيضاً بالقياس على ما سبق يكون استنتاجي منطقياً لو قلت إن صانع العالم لا شك كانوا كثيرون العدد جداً وبالطبع صنفوه من مواد أولية . هل يعجبك هذا الاستنتاج الذي يتهكم بالشرك ويقلب نظريتك القائلة بأن الله قول للأرض كوني فكانت رأساً على عقب ؟

قال — ولكن ألا ترى أن فكرة وجود الله جذابة جميلة ؟ أليست أحسن من فكرة النشوء والارتقاء

قلت — لا بأس بها . ولكني لا أرى وجهاً للتفضيل بينها وبين فكرة النشوء . فإذا ما اقتنعت بصحة الفكرة الثانية فلا تخف . فإن باب الخيال أمامك لا يوصد . وتصوير الله على صورتك لا تعارض مع فكرة التطور مطاقاً

قال — إذن تسلم معي بأن الأحسن لنا التسليم بوجود الله

قلت — الأحسن ؟ لماذا ؟ إن فكرة وجود الله خيال جميل لا بأس به ولكن يجب أن لا تستنتج من ذلك أنه أثبت وجوده لنا بالفعل
قال — إذن أنت لا تسلم بأنه قادر وأنه

قلت — ألا تظن الأجدر بنا أن نناقش البرنامج نقطة بعد أخرى بالتسلسل . فإنتقطة الثانية المطلوب بحثها هي الأخلاق فهل تعتقد أن الدين هو الأخلاق ؟
قال — بالطبع الدين هو الذي يفرق بين الخير والشر ويأمرك باتباع الأول وترك الآخر

قلت — وهل الأخلاق دائماً جامدة . أعني هل فكرة الأخلاق واحدة عند كافة الأمم في كافة الأزمان ؟ ومثل ذلك . كان السلف يتزوجون بأربع نساء

ويحفظون لذواتهم بقطيع من الحايا دون أن يشعر أحدهم بأنه يفعل منكراً. فهل إذا حزت أنا عشرين امرأة في الوقت الحاضر لا تحكم على بالاستهتار والاستسلام للملاذ الحيوانية؟

قال — ولكن هذا مثل من الفرعيات . فلنتكلم عن موضوع أساسي مثل القتل أو السرقة

قلت — انتظر قليلاً . كان الواجب عليك أن تقول لي رداً على سؤالى السابق. ان عقاية الوسط والنظر وف لم تظهرها سابقاً فكرة التعدد والتسرى بما يظهرها به لنا الوسط والعقاية الحاليةين . ألا توافق على ذلك؟

قال — دون شك . فإن للعقاية والوسط دخل كبير في الموضوع قلت — اذن فلاخلاق ليست ثابتة بل متغيرة . فلنتقل الآن الى السرقة فهل تظن أن الناس كانوا يسرقون دائماً بمناسبة و بغير مناسبة قبل أن ينزل عليهم الرسل؟

قال — ولكن العرب كانوا يمدون بناتهم

قلت — اسمع يا صديقي . اننى لو سأمت بمدك ارضاء لماطرك بان قبل نزول النبي محمدا كان العرب يمدون بناتهم (دائماً) لما أمكنهم التناسل . فمن أين كانوا يأتون بالنساء اللاتي كانوا يتزوجون بهن ؟ ربما كن من الاسيرات . فهل في امكانك ذلك ؟ وهل كانت غارات العرب قبل الاسلام تقع بين العرب و بين الاعاجم ؟ أم بين قبائل العرب و بعضها ؟ اصغ إلى جيداً يا صديقي . ان جرائم وأد البنات كانت فردية تماماً يرتكبها بعض الذين ينجشون على أعراضهم ، فكما كان الرجل يفكر بأن ابنته سوف يمتدحها رجل كان يشتهر . وفكرة التناسل احتقرها العرب كما احتقرها المعجم ولا يزال يحتقرها بعض الناس الفطريين الذين يجدون غضاضة في المساعدة على التناسل بطريقة سلبية ؛ ألا ترى مثلاً بعض رجال العصر الحالي في مصر يوقفون ريع أموالهم على بناتهم مادم غير متزوجات ؛ وفي هذا ارهاق لمن ؛ فهل اذا نهبت الحكومة الى وجوب ازالة هذا الحيف بعد حملة الجرائد والبرلمان عليها فسنت قانوناً لحماية يصح لنا الاستنتاج بان المصريين في

القرن العشرين كانوا يجبرون بناتهم على الترهيب والافيجرموهن من الاستفادة من الميراث ؟

ان ايجاد تشريع مخصوص لا يتم عفواً بل يوجد فقط عند ما يشعر الناس كافة بان النظام السارى سيؤدى الى افناء الجماعة . ولذلك نهب الجمعية للدفاع عن كيانها مسوقة بالغريرة . ولماذا لم يحدث الوأد فى الامبراطورية الرومانية مثلاً ؟ أليس لان وجهة النظر كانت تخالف وجهة نظر العرب على خط مستقيم فكان لدى الرومان ميل الى تقديس الجمال ؟

لا يمكنك أن تتصور وجود وسط متحضر تقتل بعضه البعض . لأنه اذا وجد هذا الوسط فى زمن من الازمان لكانت النتيجة الغير مشكوك فيها هو اندثار ذلك الوسط وانك ولا شك تسلم على بأن قوى الناس متفاوتة . فالهيمنة تكون دائماً للاقوى . فاذا ما تسلط فرد وضع الانظمة لا تباعه ودون شك يكون من صالحه نشر السلام والألفة بين الناس على قدر الامكان حتى يتيسر لهم العمل على خدمته دون شوشرة

وهل كل انسان ميل الى سفك الدماء ؟ أليس هذا الميل منحصر فى طبقة مخصوصة من الناس فقط هى المشبعة بروح المقت أو المطالبة للثأر أو التى بعثها شىء من الخلل ؟

كانت العرب قبائل صغيرة تقوم بالغارات على بعضها تقتل وتنهب فهل تغير هذا الآن عن قبل ؟ أليست الحرب الكبرى مثل مجسم من تلك الغارات . ثم فيها القتل والنهب بنظام أوسع يختلف فى شدته ومدته باختلاف الاستعداد و باختلاف العقلية ؟

اذن أظن أن من حق مطالبتك بالتسليم بان الاخلاق دائمة التغير ، وأن (الدين) يأتى فيعزز الحسن الذى وافق الجميع على صلاحيته من قبل أن يكون (ديناً) وكذلك يعزز نظرية القائلين بوجوب تغيير ما رأوا فيه نقصاً أو ضرراً . وبالطبع يساعد قدم الفكرة الجديدة لأن لهم من ورثها مغنماً فى حين يناهضها آخرون يشعرون بمزايا النظام المتبع الذى عمل الدين على متابعة رأى المخالف له . والحسن إما أن يكون قد تقرر حسنه بالاختبار ، والدافع على هذا التقرير هو

الغريزة كالسرقة والقتل والزنا ؛ وأما أن يكون قد تقرر على أساس فكرة خيالية طارئة. وهذه تكون عرضة للتغيير والتبديل الى أن تلائم العقلية والوسط. أو الى أن يذبذباها فتصبح في خبر كان. وفي هذه الحالة أما أن يخفف المجتمع من غلوائه فيحذفها من قائمته الدينية أو الاخلاقية المختارة أو ينتهك الناس حرمة ذلك مدفوعين بدوافع لا قبل لهم بها. مثلا فكرة تنظيم العائلة . ف هو في اعتقادي نتيج عن أن النظم الاقتصادية الحالية تجبرنا على تغيير أفكارنا فيها فوالحالة هذه لن يتيسر لنا في المستقبل تنظيم العائلة على أساس أن الرجل هو ربها وعائلها. وعلى أن المرأة يجب أن تكون عالة عليه تأتمر بأمره. فالانظمة الاقتصادية الحديثة تدفع المرأة للتحرر اقتصاديا عن الرجل. ويستتبع ذلك بالطبع انه مادام لا يهيمن على مرافقها الحيوية فان يكون لها سيدا مطاعا

بقي أن تسألني الآن عن النقطة الثالثة وهي علم الدين أو الفلسفة أو اللاهوت أو الخزعبلات. فقد قلت ان الله قادر و ربما تقول انه يسمع ويقضى و و
قال — أجل. فما رأيك؟

قلت — انني سلمت معك جدلا بأن وجود موجد أول فكرة لا بأس بها ومعنى هذا أنها لم تثبت و لكن لا مانع من التمسك بها حتى يثبت ما ينفيها فنأين لك أن تصف ذلك (المجهول العظيم) بصفات كذا وكذا

قال — وما قولك اذا قلت لك ان وصفى له بذلك يتم عن طريق الاستنتاج والاقتناع ليس الا . فما الذي يمنعك مثلا أن تقول ان هذه القوة قادرة ومحيطه بكل شيء ؟

قلت — لا مانع من ذلك . ولكنك تقول ايضا انها تقدر وانها تحرص على اتباع وجهة نظر اخلاقية مخصوصة وعلى عدم اتباع وجهة أخرى أليس كذلك ؟
قال — بالطبع أقول ذلك لاني أرى أن الله يرغب الناس في اتباع ما اتفق الرأي العام على وجوب نشره الآن على حد قولك فائدة عامة

قلت — ولكن لا يتسنى ذلك يا صديقي لان الاخلاق دائماً التطور فما يتفق الرأي العام على أنه حسن في وقت من الاوقات يتفق الرأي العام على سوءه في

وقت آخر ، والذي ترى أمة من الأمم فيه الخير تراه أمة أخرى عين الشر . فما قولك دام فضلك في فكرة تعدد الزوجات التي حرض عليها القرآن وقت ان كان التعداد لازماً للعرب . ذلك حين كان عدد النساء عندهم يزيد زيادة كبيرة على عدد الرجال . كان الرجال قديماً كانوا أكثر تعرضاً للموت مما هم عليه الآن . ولذلك كانت نساء العرب أكثر عدداً من رجالهم . أضف اليهن السراري اللاتي كان يقتل الجيش الظافر رجالهن وآباءهن ويرجع بهن غنيمة باردة . فهل كان يعقل أن يبقين الناس دون فائدة ؟ أم كان يستولوهن رجالاً ينضمون الى قوات القبيلة المقاتلة ؟ فهل يمكن تطبيق هذه النظرية التي كانت قديماً عمالة على أى قطر في الوقت الحاضر . مع العلم بأن عدد الجنسين يكاد يتساوى ؟ وان فكرة الاستعباد أو التسرى قد عدت الآن غير انسانية . وخصوصاً بعد أن ظهر للناس أن قتل المغلوب ليس من الشهامة في شيء ؟

قال — ولكنك تهم القرآن بما لم يقله فهو لم يقرر حق التعدد بل قيده بالعدل

قلت — أما إنه لم يقرر حق التعدد فهذا كلام لا أساس له من الصحة . فقد ذكر « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » . وهذا اطلاق قيده بعد ذلك بقوله « وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » « ولن تعدلوا » فالتقييد اذن فرعى للاطلاق والا فلم يكن هناك داع للاطلاق بالمرّة . ولكن النص قد وضع بصورة أخرى مثلاً وبما أنه من المستحيل عليكم أن تعدلوا بين النساء فاقصروا على زوج واحدة واذا رجعنا الى التاريخ . نجد النبي والصحابه وغيرهم كانوا يتخذون من النساء مثنى وثلاث ورباع . يضاف الى ما سبق « أو ما ملكت ايمانهم » افليس من المعتول اذن أن « ولن تعدلوا » هذه اذا كن معناها نفى العدل بتاتا ، الامر الذي يستوى أمامه كل البشر ، لما أقدم عليه الذين كانوا في صدر الاسلام ؟ فاذا كان للظروف دخل في الموضوع لقدرت هذه الظروف بتقدير كل شخص في كل وقت . ثم لماذا قصر عدد الزوجات بأربعة ولم يحسم ؟ وذلك رداً على بعض الناس الذين يدعون بأن البلاغة تقتضى التصريح بمعجز ؟ افليس معنى التحديد بأربعة هو وقف

النزاع عند حد؟ وما معنى العدل؟ اعتقد أن العدل بين الزوجات في وسط
الاعراب تنحصر في حقوق الزوجية الطبيعية أى كان يجب على الرجل تقسيم
وقته بين نسائه تقسيماً عادلاً. أظنك الآن وقفت مثلى موقفاً تتجاوز بك فيه الحيرة
بين الجزم تارة والدينية أخرى؟

قال — وما قولك في القضاء والقدر

قلت — ومن أين وقفت على أن الله يقضى ويقدر بالمعنى الذى تذكره؟ فهل
يقدر على شخص الشقاء؟ هو اذن ليس بعادل؟ وهل يقضى على آخر بالكفر
والالحاد. فاذن يعاقبه على أمر لم يتبعه بمطلق ارادته بل كان مسوقاً اليه جبراً؟ واذا
فرض اننى كفرت بالله اجتهداً وبحسن نية فلماذا يحشرنى في النار حشراً لمدة كما
يقولون لا نهاية لها؟ ان المحاكم التى تكون من البشر ترتكن عن اصدار أحكامها على
ما يسمونه سبق الاصرار وعلى مركز وعقايمة الشخص. وكذلك على الدوافع التى
تدفعه الى ارتكاب الجريمة. ولا شك أن المحكمة تقدر حسن النية حق قدرها قبل
اصدار الحكم

قال — ولكن الشرع يقول

قلت — الشرع ومن أراكه ساقطاً من السماء. عندك سلسلة من الادعاءات
مرتبطة ببعضها رابطاً متيناً. فاذا حاولت الاستفهام عن أحداها أتوك بالبرهان
من نفس السلسلة فالله. موجود لأن ذلك مذكور في الكتب المقدسة. والكتب
مقدسة لان فيها ما يفيد أنها منزلة من عند الله فالموضوع كله كالحلقة المفرغة يجب
أن تأخذها كلها او تتركها كلها. واذا أخذتها على علامتها فلا يمكنك انتقاد مركز
الضعف منها ولو كان غير معقول تماماً لك

والذى يزيد الطين بله. هو انهم يعتمدون في التفسير على أساس ما قاله
المتقدمون. أولئك الجهلة قليلوا الاختبار المنحطون عقلاً وأخلاقاً عما نحن
عليه اليوم.

قال — وهل تظن أن الوازع الادبى كفيل بالحلول محل الوازع الدينى؟

قلت — ومن قال لك أن الوازع الدينى قد أفلح في صد الشر من أن يحدث؟

فالشركان موجوداً قبل الأديان وكان موجوداً في عهد الأديان (والبرهان على ذلك تحريم الأديان اقترافه على متبعيها) ولا يزال الشر موجوداً في وقتنا الحاضر؟ ولكنه بالطبع دائم التغير ومعناه دائماً يتطور. فينتابه العجز والزيادة . أليس أول ما يخيف الإنسان إذا أقدم على قتل رفيقه هو فكرة حبل المشنقة أو انتقام عائلة القاتل؟ وهل إذا قتل الإنسان شخصاً وهو ثائر يكون هناك مجال للقول أنه تغاضى عن أوامر الدين. أو لم يهتم بالقانون الوضعي في حين أنه يكون قد قتل في حالة شبه جنونية

والسرقة هل لها معنى محدود؟ أليس للرجل الذي يريد أن يعمل من أجل العيش ولا يجد من يعطيه عملاً أحق بأن يعيش كأحد العجماوات على الأقل. فهل يصلح أي رادع مهما كانت قوته في تفهيم هذا الشخص المشرف على الموت أن الواجب عليه أن يموت ذلك كلب على قارعة الطريق بينما غيره يأكل أمامه حتى التخمة؟

وهلا تظن أن الاشرف لنا كبشر أن ننظر الى الحقيقة مجردة، فنتعلم أن نقيم تعاليمنا على أساس تبادل المنفعة بدلاً من اشاداتها على أساس من الخوف إذا ظهر للمجرم دون سبق اصرار. لا أثر لهذا الأساس المفرع من الصحة . والركن الذي نعتمد عليه هو الاخلاق. مثلاً الرجل منا قد يرى شخصاً يرتكب جرماً معيناً ثم يجده ناجحاً في حياته. أليس معنى هذا أن الله لا ينتقم من المسيء بل يحسن اليه سكت مناظري قليلاً. ثم قال بعد ذلك ولكن يجب أن يكون لدينا ايمان يخفف عنا مشقة الحياة

قلت — لك أن تعتقد ماشئت وأن تستسلم الى القدر قدر ماشئت، وأن تصرح بأفكارك لمن حولك بأية طريقة تشاء. وإنما النصحاء فقط أن لا تضطهد الذين ينظرون الى الحياة بمنظار يختلف عن منظارك. فقد يكونون أرق منك فهماً وإدراكاً.

بندلي البيالوني

ساووا باولو

الاحافيرولوجى

عتب علينا اتباع مدرسة المتأدين المصرية (١) اقتباس مقالين عن شايوب الزاجل عن بلاد العراق وارض مأجوج ورمونا بالجمود والتقهر فدفعنا لهذه التهمة ، نقتبس لقرائنا هذا المقال من كتاب الفيلسوف الاستاذ الاكثر كبرا (٢) والاديب المبتدع رب الاحافيرولوجى وهو أشهر من أن يعرف .

الاحافيرولوجى . موضوع لم يسبق لقراء العربية الوقوف عليه قبل الآن . لذلك أحاول أن أزيل كل الصعوبات التى قد تعترض فهم القارى للموضوع . وأولها بالطبع الابتعاد عن الاصطلاحات الفنية . وبدلاً من أن أترجم كتاباً للناطقين بالضاد (وهو أمر مستحيل) فكرت في تأليف كتاب سهل المأخذ وليس على الذين تعمقوا في درس الموضوع الا الرجوع الى مقالى المعنون « مبادئ الاقتصاد ونوسى » وأما الذين لم يدرسوا الموضوع فعليهم الرجوع الى دائرة المعارف البريطانية للاطلاع على علم العظامولوجى والصخورولوجى حتى يتيسر لهم قراءة هذا الموضوع فى كتاب الفردوس المفقود لفردريك نيتشه الاديب الروسى وفى كتاب التريية لادم سميث الحياتولوجى الهندى فهذه كلها ضرورية لمن يريد الوقوف على هذا العلم الذى يعد من مسببات المدنية والرقى .

معنى الاحافير

جمع حافر وكلنا يعرف معناها وللفرس أربعة حوافر وكذلك للحمار أربعة حوافر .

سبب التسمية

السبب بسيط ولو كنا تهذبنا ولم نكن أمة شرقية جاهلة حقيرة لكان لدينا ولو بعض آثار العلم أو بمعنى آخر أحافيره .

« ١ » متأدبو مصر هم الذين يقرأون قشور العلوم فى دائرة معارف الاطفال ومطالعات طلبة المدارس الاولى ثم يؤلفون من عندياتهم كتباً علمية عويصة لا تفهم . ولذلك تقدرهم العامة حق قدرهم وأما الخاصة فيندبون سوء حظهم .

« ٢ » لقب الاستاذ له مكانة فى الغرب تغرى الواقف على منهاها بالضحك اذا علم ان راقصات البارات « اصبحن استاذات ومحردى العرائش اصبح كل منهم » استاذاً كبيراً ولا بد من ان يكون المؤلف فى علم عويص كهذا المبحث لقب « الاكثر كبرا » بالاقبل

التطبيق

وكما نعرف من متابعة النظر الى الارض اذا كان السائر حاراً أو جحشاً
 كذلك يتبين لنا بملء السهولة معرفة قيمة المؤلف من كتابه .
 وإننى أظن أن هذه الديباجة لازمة قبل الدخول في الموضوع . وليعلم القارىء
 أننى قرأت مائة كتاب في الموضوع (١) وأتيت بأمثلة رأيتها شخصياً كما رآها
 الغير . ولكنى أعلمت الروية والعتل في تفهمها بعكس كافة الخلق . فاتهم لا يلاحظون
 بأنفسهم شيئاً وهذا ناتج بالطبع من عدم وقوفهم تمام الوقوف على أسرار العالوم
 كما وقفت عليها في جامعة (نسيت الاسم) . كنت مرة أسير مع صديق فوجدت
 النمل يتقاطر متوجها نحو ثقب في الارض فالتفت نظره الى هذه الظاهرة العجيبة
 فهز رأسه استخفافاً بالامر . ولكنى لم أقدر على مقاومة ميلى الغريزى للبحث
 والاطلاع فنبتشت الارض بمصاى فوجدت أوكاراً متراصة بين كل واحد منها
 والآخر حديقة غناء مملوءة بالطحلب الزكى الرائحة فعلمت من هذا أن في العصر
 الماقبل الجليدى كان الناس يقطنون الأوكار الصغيرة الحجم وبالطبع يستدل من
 هذا أنهم كانوا صغار الاجسام بعكس ما ادعاه السلف الجاهل وبالطبع كنتيجة
 طبيعية لنظرية المندلزم التى قال بها شوبنهاور الحياتولوجى الانكليزى الشهير
 كانت الطحالب أشجاراً باسقة نسبياً في ذلك الوقت . كذلك وجدت دبوراً
 ملقى بقرب جدار احدى الأوكار . فعلمت أن الترموايات كانت معروفة قبل ذلك
 العهد بمدة طويلة مستنتجاً ذلك من سمك طبقة الصدا . وما دامت هذه الاشياء
 كانت معروفة لاقوام كان مقياس جهاجمهم أقل من مقياس جهاجمنا يكون استنتاج
 لامارك المصرىولوجى خطأ في خطأ وكذلك سياحته الى جزائر الهند الغربية
 حديث خرافة .

بحثت أيضاً وبحثت فلم أجد أثراً لأعمدة التليفونات فتيقنت أن التلفراف
 اللاسلكى كان معروفاً . أما الطيارات فنبت لي وجودها من مشاهدة ثقب في أعلا

١- يلاحظ أن عدد الكتب المطبوعة في جميع اللغات لا يزيد عن العشرين . ولكن هناك
 كتب أرسلت لنياسوف الشرق لنقدها قبل أن تطبع ولذلك نرى استاذيته تقول انها قرأت
 مائة كتاب والله أعلم كم من الدقائق انقضت في قراءة كل منها

”محوطه ساحة منبسطة كانت ولا شك مهبطاً للطائرات. وأما أين ذهبت بواقى
الطائرات فأمر لا يحتاج الى سؤال. لان الثلج لما نزل دقها. واذا بحثنا جيداً فقد
نجدها وعلى هذا الاساس العالمى الاستنتاجى صرت فوجدت هيكلًا خشبيًا
مدفوناً على بعد متر من سطح الارض بالقرب من عتبة ثقب وكان طرف الهيكل
الخشبى محروقاً وبالطبع حدث انفجار مريع
الخاتمة

إذا لم يفهم المبتدئون ماقلته وجب عليهم أن لا يندبوا بسوء حظهم لفقدانهم
العشرة قروش التى دفعوها ثمناً لهذا الكتاب الثمين فلو اشترىوا عدة نسخ منه
لتمكنوا من فهم محتوياته. لان مائة صفحة فقط لا تثبت هذا العلم الواسع فى دماغ
من يظن أنه خسر عشرة قروش فايشترى خمس نسخ على الاقل وبذلك يمكنه أن
يفهم من الخمسة مائة صفحة شيئاً أكثر .
تقريب

كتب اليها الاستاذ حنا حنين الاديب المشهور يقول إن هذا الكتاب
يستحق أن يطبع على نفقة وزارة المعارف فى عموم البلدان الشرقية لتوزيعه على
طلبة الكليات العالية الفنية ونحن مستعدون للاتفاق مع المهاودة العظيمة .
تلخيص ومراجعة الاستاذ الصغير

ط. ه. حنين

فهرست

ص	
١٠٤١	مبادئ الفلسفة الحديثة فيلوزوف
١٠٤٧	غننى يا طير أنشودة حسن كامل الصيرفى
١٠٤٨	جولة فى أرض يأجوج حسين محمود
١٠٥٣	مدى الحياة أو حديث الظلام — شعر الصيرفى
١٠٥٥	مذكرات أنا
١٠٦١	الى الاستاذ جبر ضومط — قصيدة ابراهيم دادا
١٠٦٣	حول البابية أيضاً عمر عنایت والسيد عبد الرازق الحسنى
١٠٧٦	الانيميا الخبيثة
١٠٧٨	النقد والتأليف
	(١) تاريخ نجد الحديث وملحقاته للريحانى
	(٢) بهجة الافراح فى مناجاة الارواح عريلى
	(٣) بين المد والجزر مى
	(٤) التعريف بالنبي والقرآن الشريف الببلاوى
	(٥) العقل الباطن سلامه موسى
١٠٩٢	السياسى الدولى — تلخيص ميخائيل بشارة داود
١١٠٥	أسماء — قصة واقعية من الحياة الاجتماعية
١١١١	البعد الرابع — قطعة شعرية أحمد زكى أبوشادى
١١١٣	تأملات فى الادب والحياة فيلوبونس
١١١٨	شجرة الغار — أسطورة قديمة فيها أدب وعلم
١١٢٢	تمثال النهضة — خطبة النحاس باشا — وصف الحفلة
١١٢٩	بين الصحف والمجلات
	(١) مجلة الحديث عن حديث لمنصور افندى فهمى
	(٢) ، (٣) السياسة الاسبوعية

تابع الفهرست

ص	
١١٣٨	نمار الفكر الغربى
	(١) نهر الحياة لجوليان هكسلى
	(٢) توارث الكفايات للاستاذ (جن)
	(٣) آدم سميث كفياسوف أخلاقى عن وولتر اكشتين
١١٤٨	فصول مصورة فى التاريخ الطبيعى — البنغوين
١١٥٠	الزولوجيا أو مبادئ علم الحيوان
١١٥٤	الوازعين الدينى والادبى — أيهما يجب الاخذ به بندلى
١١٦١	الاحافير وولوجى ه . ط . حنين

أصل الانواع

﴿ ونشورها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة ﴾

(في التنافر على البقاء)

تأليف العلامة . معلم القرن التاسع عشر

شارلز روبرت داروين

ونقله الى العربية

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها



ستشرع دار المصور للطبع والنشر في طبع هذا الكتاب واقما
في خمسة مجلدات ضخام . وتسهيلا لاقتناء هذا الكنز الثمين ستجعل
توزيعه بطريقة الاشتراك بحيث يجعل ثمنه قبل الانتهاء من طبعه بقيمة
توفر على المشترك عشرين في المائة على الاقل من ثمنه الاصلى وسيعلن
قريبا عن ذلك وعن تقبل لديه الاشتراكات من أصحاب المكاتب
الكبرى بمهر فارتقب ذلك لتفوز بهذه الفرصة السانحة

العظماء

تأليف باول طر فروس

الكاتب اليوناني المعروف

ترجمة ميخائيل بشاره داود

يظهر هذا الكتاب الكبير في أجزاء متوالية وقد شرعت دار المصور في طبع الجزء الأول منه ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب الأدبية التاريخية في الآداب القديمة فنلفت إليه الأنظار سلفاً .

العقائد

تأليف عمر عنایت

يظهر هذا الكتاب في أوائل شهر يولية المقبل . وقد تناول فيه مؤلفه الكلام في العقائد الأثر شيوعاً بين الناس وقسمه تقسيماً علمياً وتكلم فيه عن الأديان غير الكتابية والأديان الكتابية بأسلوب سهل يفتقح به كل عالم ومتعلم . فارتقب صدوره .